

مثلث الغموض

المؤلف



د. نبيل فاروق

● مثلث الغموض ●

- كيف أقدم ثلاثة علماء كبار على ارتكاب جرائم بشعة ، تتنافى وطبيعتهم الهادئة ؟
- ما الذى يسيطر على عقول العلماء الثلاثة ، ويدفعهم إلى ارتكاب هذه الجرائم ؟
- تُرى ، هل يجد (نور) ورفاقه حل هذا اللغز ، داخل المنطقة التى أطلقوا عليها اسم (مثلث الغموض) ؟
- اقرإ التفاصيل المثيرة ، واشترك مع (نور) فى حل اللغز .

١٥

العدد القادم (الوباء الجهنمى)

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض مصر ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية .. يدور العمل فيها بهدوء تام وسرِّية مطلقة .. من أجل حماية التقدم العلمى فى مصر .. ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية التى هى مقياس تقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف يعمل فريق نادر تم اختياره بدقة بالغة :

ـ نور الدين : واحد من أكفأ ضباط المخابرات العلمية يقود الفريق .

ـ سلوى : مهندسة شابة ، وخبيرة فى الاتصالات والتتبع .

ـ رمزى : طبيب بارع متخصِّص فى الطب النفسى .

ـ محمود : عالم شاب وإخصائى فى علم الأشعة .

فريق نادر يتحدَّى الغموض العلمى والألغاز المستقبلية .. إنهم نظرة أمل للمستقبل .. ولمحة من عالم الغد .

د . نبيل فاروق

١ ـ ثلاث حوادث ..

تثاءب الحارس الوحيد فى مبنى إدارة (أبحاث التعدين) ، محاولاً طرد النعاس الذى يحاول بإصرار إرخاء جفونه ، ثم مدَّ يده نحو صف من الأزرار المختلفة الألوان ، وأخذ يضغطها على التوالى ، فأضاءت عشر شاشات ملوَّنة ، تكشف جميع أنحاء المبنى ، تفحَّصها بسرعة ناجمة عن خبرته الطويلة ، وعاد يتثاءب وهو يقول لنفسه :

ـ يا لها من مهنة مملَّة !! برغم كل هذا التقدم الهائل فى وسائل الأمن ، ما زال المسئولون يصرون على قيام العنصر البشرى بالحراسة .

ثم تناول مجلة مصوَّرة من جواره ، واسترخى فى مقعده وهو يستطرد :

ـ وحجتهم فى ذلك أن الآلات يمكن خداعها بصورة أسهل مما يحدث للبشر .

وقبل أن يتصفح المجلة تحوّل لون إحدى الشاشات إلى اللون الأحمر ، وانبعث فى البوق الصغير المتصل بها أزيز متصل ، فهبَّ الحارس واقفا وضاقت عيناه ، وهو يحدّق فى الشاشة ويتمتم بضيق :

ـ اللعنة .. ما الذى أتى به فى هذه اللحظة ؟

ثم ضغط زرًا صغيرًا ، وقال :

ـ مرحبًا يا سيّدى .. تُرى ما السبب الهام الذى دفعك للحضور فى الثالثة صباحًا ؟

تجاهل الرجل الذى تبدو صورته على الشاشة إجابة السؤال ، وقال بلهجة خافتة أثارت دهشة الحارس :

ـ أوقف الرِّتاج الإليكترونى ، وافتح البوابة .

وبرغم الدهشة المفرطة التى تملكت الحارس ، إلا أنه أسرع يجيب الأمر ، وسرعان ما تناهى إلى مسامعه صوت خطوات الرجل تقترب ، فخرج لاستقباله محاولا رسم ابتسامة على شفتيه وهو يقول :

ـ عجبًا يا سيدى .. إنها المرة الأولى التى ...

قاطعه الرجل وهو يقول بنفس اللهجة الجافة :

ـ قدنى إلى غرفة الكاشف الإليكترونى الجديد .

تضاعفت دهشة الحارس وهو يقود الرجل إلى غرفة جانبية صغيرة ، ودس فى ثقب رفيع مستطيل بجوارها بطاقة الأمن المعدنية الرقيقة ، انفرج بابها بهدوء كاشفا الجهاز الإليكترونى الحديث ، فاستدار الحارس مواجهًا الرجل وهو يقول :

ـ ها هو ذا يا سيّدى ، ولكن لماذا ...

وتجمّدت الكلمات فجأة فوق شفتى الحارس ، وجحظت عيناه رعبًا ودهشة ، فلقد رأى فى قبضة الرجل مسدسا ليزريًا مصوّبًا إليه ، وقبل أن يصيح أو يتحرك محاولا منع ما توقعه أصابت صدره طلقة إشعاعية قوية ارتجف لها جسده بأكمله ، ثم سقط على الأرض وقد تحوّلت بشرته إلى اللون الأزرق ، وارتسمت على ملامحه أبلغ آيات الفزع .

تحرّك الرجل بهدوء ، متخطيا جثة الحارس إلى داخل

الغرفة الصغيرة ، متجاهلاً تلك اللوحة الفيروزية التى خطَّ فوقها بحروف زرقاء كلمات تقول : « غرفة الكشف الإليكترونى ــ محافظة قنا » .. وسقط بصره على جهاز الكشف الحديث ، فرفع ذراعه مصوبا مسدسه إليه ، وبهدوء يفوق الحد ضغط على زر الإطلاق بمسدسه عدة ضغطات متوالية ، غير مبال برنين أبواق الإنذار التى تصم الآذان ، والتى انطلقت فور تحطم الجهاز .

* * *

كانت الساعة تشير إلى الثالثة صباحًا عندما تلقى الحارس المكلف بحراسة (دار المحفوظات العلمية) بمدينة (سفاجة) ، إشارة تشير إلى وجود شخص ما فى غرفة المطالعة السفلى ، فأسرع يتطلع إلى شاشة المراقبة ، وما أن رأى هذا الشخص حتى ابتسم بهدوء ، وهو يتمتم قائلا :

ــ يا للعلماء !! لا يغمض لهم جفن ما داموا يسعون خلف المعرفة .

ثم هبط درجات المبنى وهو يصفر لحنًا شعبيًا قديمًا ، وما أن دخل قاعة المطالعة حتى ابتسم ، وهو يقول للرجل الذى يوليه ظهره :

ــ ألم يكن من الأفضل انتظار الصباح يا دكتور (أشرف) ؟

استدار الدكتور (أشرف) بهدوء ، مواجهًا الحارس الذى شعر ببعض الرهبة ، عندما طالعته عينا الدكتور الباردتان ، ولمح أمامه على شاشة الكمبيوتر الصغير تخطيطًا منمَّقًا ، فازْدَرَدَ ريقه ، وقال محاولاً كسر ستار الصمت الذى شملهما :

ــ من الواضح أنك تطالع تصميمات جهاز الكشف الإليكترونى الحديث .. وهذا للأسف ممنوع يا سيّدى ، فلم يتم نسخه بعد ، وهذه هى النسخة الوحيدة و ...

وقبل أن يتم عبارته ، أسرعت يده نحو مسدس الليزر المعلّق بحزامه ، فلقد صوَّب الدكتور (أشرف) نحوه

مسدسًا مماثلاً بسرعة البرق ، وقبل أن تصل يد الحارس المسكين إلى مسدسه ، كانت الأشعة المنطلقة من مسدس الدكتور (أشرف) قد حطمت عنقه .

وبهدوء صوَّب الدكتور (أشرف) مسدسه إلى الكمبيوتر الذى يحوى النسخة الوحيدة من التصميمات ، وأطلق عليه أشعته .

* * *

نظر المهندس (حسين) فى ساعته الذرية ، ثم هتف بمرح :

ــ يا إلهى !! إنها الثالثة صباحًا يا دكتور (عماد) .. لقد مضى الوقت سريعًا دون أن نشعر بمروره .

ابتسمت زوجته وهى تقول :

ــ أنتما هكذا دائمًا ، إذا ما استغرقتكما مناقشة علمية .

ضحك المهندس (حسين) بمرح ، وقال وهو ينهض من مقعده :

ــ إن الحديث مع زوجك حول الأمور العلمية ممتع للغاية يا سيِّدتى ، ولقد استغرقنا الحديث حول آخر اختراعاته .. جهاز الكشف الإليكترونى الحديث ، الذى يساعد على كشف المعادن والبترول عن طريق الموجات الصوتية فقط .

ابتسم الدكتور (عماد) بهدوء ، على حين هزَّت زوجته كتفيها فى حيرة وهى تقول :

ــ لست أدرى لماذا يواصل البشر بحثهم عن البترول ، ما داموا قد استغنوا عنه تمامًا كوقود ، بعد تعميم الوقود الذرى الأمينى ؟

التفت إليها زوجها قائلاً بهدوء :

ــ لا تنسىْ يا عزيزتى أن البترول ما زال هو أساس صناعات البلاستيك ، وأنت تعلمين مدى انتشار هذه اللدائن فى هذا العصر .. بالإضافة إلى العديد من الصناعات الأخرى التى تعتمد كلية على البترول .

وقبل أن تتحدث الزوجة معلقة ، تردد صوت جرس

الباب ، فنهض الدكتور (عماد) وهو يقول بدهشة :

ـ تُرى من يفكِّر فى زيارتنا فى هذه الساعة ؟

أسرع المهندس (حسين) يسبقه إلى الباب ، ويضغط زرًّا صغيرًا وهو يقول :

ـ لعلهم يحتاجون إليك فى إدارة البحث يا سيدى .

وما أن طالعه الوجه المرتسم على الشاشة الصغيرة ، حتى قطّب حاجبيه وهو يستطرد :

ـ عجبًا..إنه المهندس (فهمى)..ما الذى أتى به؟

وماهى إلا دقائق حتى عبر المهندس (فهمى) مدخل منزل الدكتور (عماد) بخطوات آلية ، ووقف صامتًا يتطلّع إلى الوجوه الثلاثة التى تأملته بدهشة ، حتى قال المهندس (حسين) :

ـ خيرًا يا (فهمى) !!.. ماذا حدث ؟

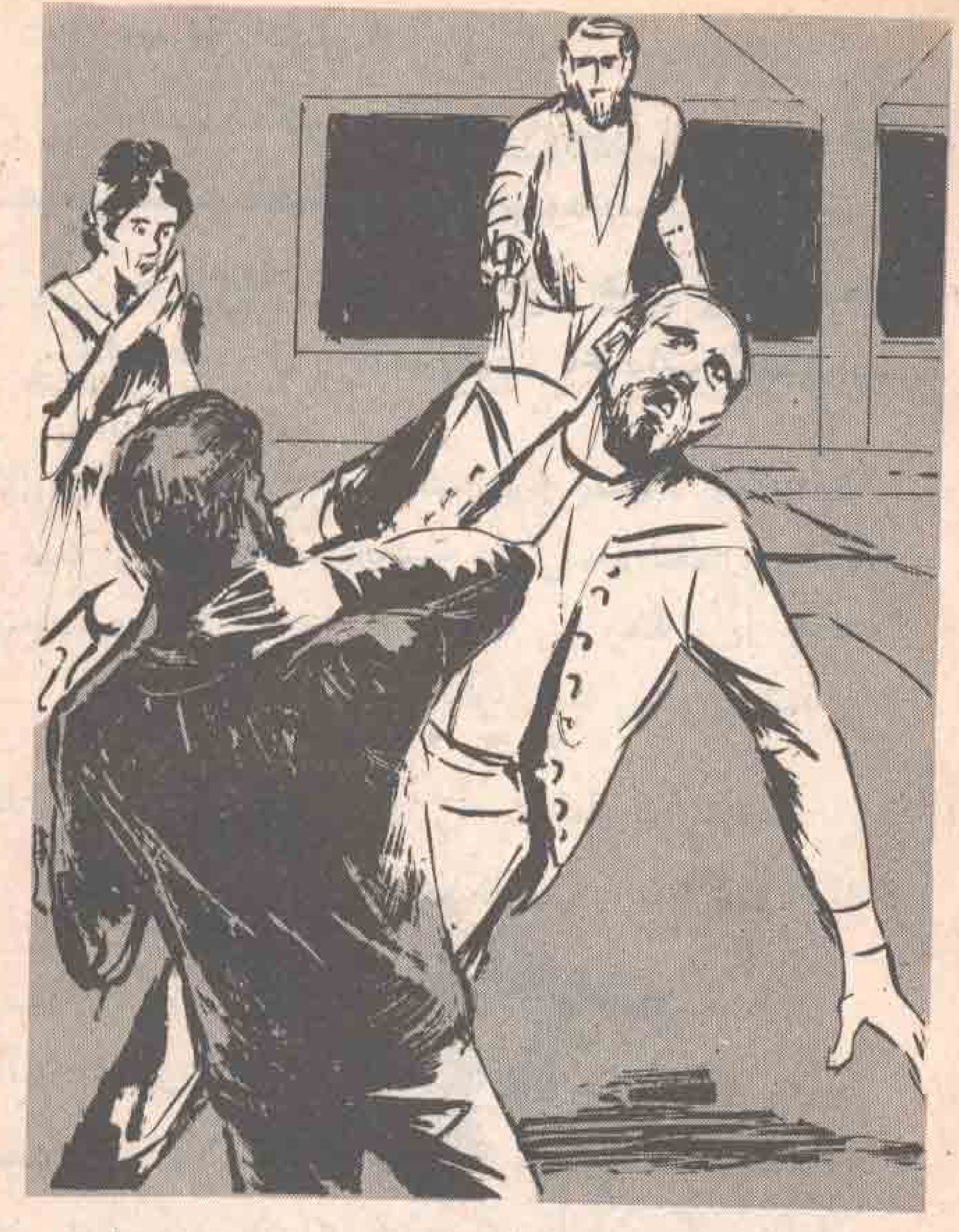
انطلقت صرخة فزع من بين شفتى زوجة الدكتور (عماد) ، عندما أخرج المهندس (فهمى) من سترته مسدسًا ليزريًّا صوَّبه إلى زوجها الذى ألجمته المفاجأة .

وقبل أن تضغط سبابة (فهمى) على زر الإطلاق بمسدسه ، قفز (حسين) بشجاعة نحوه ، ولكمه لكمة قوية ألقته أرضا ،وأفلت المسدس من قبضته،ولكنه عاد ينهض بملامح جامدة غير مبالٍ بشريط الدم الذى انسال من شفته المقطوعة ، ومدّ يده ليتناول مسدسه ، إلا أن (حسين) ركل المسدس بعيدًا ، وأمسك بكتفى (فهمى) وهو يصيح :

ـ هل أصابك الجنون يا (فهمى) ؟

لم يبد على (فهمى) أنه قد سمع عبارة (حسين) ، بل واصل تقدمه نحو الدكتور (عماد) ، الذى تراجع بذعر ، وحاول (حسين) منع (فهمى) من التقدم ، ولكنه بدا وكأن إرادته كلها قد تركزت فى التخلص من الدكتور (عماد) ، فدفع (حسين) بعيدًا ، وأحاط عنق الدكتور بكفّيه .

صرخت زوجة الدكتور (عماد) بذعر وألم ، وهى تشاهد وجه زوجها الذى احتقن من جراء ضغط



وتراخت قبضتاه من فوق عنق الدكتور (عماد) ،
ثم سقط كقطعة من الحجر ..

قبضتى (فهمى) ، وشاهدته وهو يحاول باستماتة مقاومة خصمه ، الذى تحول إلى ما يشبه الصخرة فى قوته وملامحه الجامدة .

وفجأة .. عبر الغرفة شعاع أزرق باهت أصاب ظهر (فهمى) فى موضع القلب تمامًا ، ارتجف على أثره جسد هذا الأخير ، وتراخت قبضتاه من فوق عنق الدكتور (عماد) ، ثم سقط كقطعة من الحجر .

نهض المهندس (حسين) شاحب الوجه ، ممسكا بالمسدس الليزرى الذى أطلقه على (فهمى) ، وتطلّع إلى جثته بصمت شاركه فيه الدكتور (عماد) وزوجته ، ثم رفع رأسه وهو يقول بصوت آسف :

ــ لم أقصد قتله .. لم أقصد قتله على الإطلاق .

تمتم الدكتور (عماد) بصوت مختنق ، وهو يدعك عنقه براحته :

ــ لقد أنقذت حياتى يا (حسين) .. شكرًا لك .

ثم ضغط أزرار جهاز التليفيديو ، فسألته زوجته بقلق :

— بمن تتصل ؟

راقب الدكتور (عماد) الصورة التى بدأت تتكوَّن على شاشة الجهاز ، وقال بهدوء :

— بالجهة التى يهمها معرفة هذا الحادث الغامض الذى أصابنا فى (القصير) .. بالمخابرات العلمية المصرية يا عزيزتى .

* * *



٢ — مهمة منفردة ..

استيقظ الرائد (نور) فى الرابعة والنصف صباحًا ، على لمسات رقيقة من أنامل زوجته (سلوى) لجبهته ، ففتح عينيه ، ونظر إليها مبتسمًا وهو يهم بالكلام ، إلاّ أن أزيزًا خافتًا وصل إلى مسامعه أيقظ حواسه كلها ، ودفعه إلى القفز من فراشه على عجل ، وسمع صوت (سلوى) وهى تقول بهدوء :

— هذا ما أيقظتك من أجله يا (نورُ) .. لقد بدأ هذا الأزيز منذ دقيقة تقريبًا .

ودّ (نور) لو ابتسم لها شاكرًا ، إلا أن قدميه أسرعتا على الرغم منه نحو الحمام ، وتوقَّف أمام مرآته المستديرة ذات اللون الورديّ الفاتح ، ثم ملأ صدره بالهواء ، فى محاولة لاستعادة هدوئه والسيطرة على

أعصابه المتوتّرة ، قبل أن يحرّك طرف سبابته بهدوء ، ماسًا أطراف المرآة المستديرة .

تغيّر سطح المرآة فى الحال ، وبدت المرآة وكأنها قد تحوّلت إلى لوحة مجسمة ، تمثل الطبيعة الثائرة فى ليلة ممطرة عاصفة ، توتّرت فى حوافها سلسلة من الشرارات الكهربية تشبه البرق دون أن يعقبها صوت الرعد المألوف ، وتحوّل سطحها الوردىّ الفاتح إلى لون أحمر ، تقطعه الشرارات الضوئية البرّاقة ، ثم هدأ سطح المرآة فجأة ، وارتسمت فوقه صورة مجسمة لوجه القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية .

وبرغم أن (نور) كان يرتدى منامته ، إلا أنه رفع كفّه نحو رأسه بالتحية العسكرية التقليدية ، ثم وقف ثابتًا يستمع إلى قائده وهو يقول :

ــ يؤسفنى إيقاظك فى مثل هذه الساعة أيها الرائد ، ولكن الأمر غامض وخطير ، حتى أنه يحتاج منا الى التحرُّك السريع .. أنصت إلى ما سأقوله جيدًا ،

فسوف أقص عليك ثلاث حوادث أصابتنا بالحيرة والدهشة البالغتين .

أنصت (نور) باهتمام وتركيز ، إلى الحوادث الثلاث التى حدثت فى (قنا) و (سفاجة) و (القصير) فى آن واحد تقريبًا ، وتوتّرت عضلات وجهه وهو يستمع بضيق إلى كم التدمير الذى حدث فى تلك اللحظات القليلة ، إلى أن انتهى القائد الأعلى من سرد تفاصيل ما حدث ، ثم تنهّد قبل أن يستطرد :

ــ من الواضح أن هذه الحوادث الثلاث كانت تهدف إلى تدمير ومحو كل ما يتصل بجهاز الكشف الإليكترونى الحديث ، بتحطيم الجهاز نفسه ، وتدمير كل تصميماته ، والقضاء على العالم الذى اخترعه ، ولكن الغامض فى هذا الأمر هو كيف ؟.. ولماذا ؟

بدت علامات التفكير العميق على وجه (نور) ، وهو يقول :

ــ هل أحيط هذا الجهاز بالسرية أو الاهتمام البالغ ؟

هزّ القائد الأعلى رأسه ، وهو يقول :

ــ مطلقًا يا (نور) وهذا هو المحير فى الأمر

فليس هذا الجهاز سلاحًا حربيًا جديدًا أو مادة مدمرة ، وإنما هو جهاز لكشف المعادن باستخدام الترددات الصوتية فقط ، ولقد تحدثت عنه الصحف طويلاً ، وكان من المقرر عرض تصميماته فى المعرض العلمى العاشر فى مدينة (قنا) ، بعد أسبوع واحد من الآن .

قطّب (نور) حاجبيه ، وهو يتمتم فى دهشة :

ــ عجبًا !!.. كيف يقوم ثلاثة رجال معروفين بمهمة انتحارية لتدمير جهاز سيتم عرضه على العالم أجمع بعد أسبوع واحد ؟.. لماذا يخاطرون بأرواحهم ومراكزهم الوظيفية والعلمية الهامة من أجل ذلك ؟

رفع القائد الأعلى سبابته أمام وجهه ، وهو يقول :

ــ هذه هى أكثر النقاط غموضًا فى هذا اللغز أيها الرائد .. لقد استسلم الدكتور (سعيد) لرجال الشرطة بهدوء ، عندما ألقوا القبض عليه بعد تدميره للجهاز .. بل لقد بدا وكأن الأمر لا يعنيه على الإطلاق ، برغم شراسته فى القضاء على حارس المبنى ، وكذلك فعل

الدكتور (أشرف) ، على حين لم يهتم المهندس (فهمى) بالمقاومة التى لقيها فى أثناء محاولته التخلُّص من الدكتور (عادل) مخترع الجهاز ، حتى لم يكن هناك من سبيل سوى قتله لمنعه من ذلك .

صمت كلاهما لحظة ، قبل أن يقول (نور) ببطء ، وهو يضغط على حروف كلماته :

ــ هل تقصد يا سيدى أنهم كانوا يتصرفون وكأنهم أشخاص آلية مبرمجة لأداء مهمة محدودة ؟

أومأ القائد الأعلى برأسه موافقا وقال :

ــ هذا صحيح أيها الرائد ، ولذلك فلقد كان أول احتمال دار بخلدنا ، هو أن يكون هؤلاء الثلاثة مجرد أشخاص آلية (روبوت) ، ولكن التشريح العاجل الذى أجرى على جثة المهندس (فهمى) ، أثبت أنهم أشخاص عاديون ، بشر مثلى ومثلك من لحم ودم

ظهرت الحيرة على وجه (نور) ، على حين استطرد القائد الأعلى بهدوء :

— هذا الغموض يحتاج إلى عقلية رجل مثلك أيها الرائد .. رجل قادر على تحليل الأمور ومنطقتها بشكل يعجز عنه حتى الكمبيوتر ، ولكنك ستتولى هذه المهمة وحدك هذه المرة ، ما دام ذلك ممكنا .

تردد (نور) لحظة ، ثم قال :

— ولماذا هذه المرة بالذات يا سيدى ؟

قال القائد الأعلى بحزم :

— أقول : ما دام ذلك ممكنًا أيها الرائد .. ستتحرّى الأمر وحدك لحصر السرية فى أضيق نطاق ، ولكن إذا ما شعرت بضرورة الاستعانة برفاقك فلا بأس ، ولكن ليكن ذلك عند الضرورة القصوى .. وهذا أمر .

ساد الصمت لحظة ، قبل أن يقول القائد الأعلى :

— أعتقد أنه من الأفضل أن تبدأ تحرياتك على الفور أيها الرائد ، وفقك الله .

تلاشت صورة القائد الأعلى بهدوء ، وعاد إلى المرآة سطحها الوردى الهادئ ، فغادر (نور) المكان وهو

بادى القلق ، حتى أن (سلوى) مسّت كتفه برقة وهى تقول بصوت حنون :

— هل تحب أن تتناول كوبًا من القهوة المركزة ، حتى أنتهى من ارتداء ملابسى يا (نور) .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول بأسف :

— لا داعى لارتداء ملابسك يا عزيزتى ، فالمهمة لى وحدى هذه المرة .

ثم أجبر نفسه على الابتسام ، وهو يشير إلى بطنها المنبعج ، قائلا بمرح مصطنع :

— ثم إنه ليس من الصحيح أن تخرج زوجتى إلى مغامرة ، وهى تحمل ابنتنا الأولى .

ابتسمت (سلوى) بحنان وهى تربّت على وجهه قائلة :

— حسنا .. سأحتمل الشهور الأربعة الباقية ، ثم أتبعك حتى نهاية العالم يا زوجى العزيز .

ثم استدارت متوجِّهة إلى غرفة نومهما ، وهى تقول بجدِّية :

ــ أما الآن فسأعد ثيابك ، يمكنك مباشرة مهمتك منذ هذه اللحظة .

* * *



٣ ــ رحلة الغموض ..

توقفت سيارة (نور) الصاروخية أمام مكتبة عامة فى مدينة (قنا) ، وهبط هو منها بقفزة رشيقة ، ثم سار بخطوات هادئة إلى داخل المكتبة ، وتوجَّه إلى المشرف العام لها ، وابتسم وهو يواجهه قائلا :

ــ صباح الخير يا سيِّدى .. ترى هل أجد لديكم تسجيلا يتحدث عن أحدث وسائل الأمن ؟

تفحصه الرجل بسرعة وخبرة ، ثم قال بهدوء :

ــ هذا يتوقف على نوع الوسائل المطلوبة .

ناوله (نور) بطاقة صغيرة ذات لون فسفورى أخضر ، وهو يقول :

ــ الوسائل السرِّية للغاية .

دسّ الرجل البطاقة فى تجويف سرّىّ أمامه ، ثم أخرجها ، وتأمَّل لونها الذى تحوَّل إلى الأزرق الداكن ،

ثم أعادها إلى (نور) ، وهو يقول :

ــ أعتقد أن لدينا مثل ذلك التسجيل .. وبالذات فى غرفة الاطّلاع الخاصة .

قاده الرجل ببساطة إلى غرفة مستطيلة ، تكفى رجلاً واحدًا ، تتوسطها شاشة كمبيوتر زيتونية اللون ، يزين أسفلها بعدد ضخم من الأزرار ، وأغلقها خلفه ، ثم رجع إلى موقعه ، وعاد ينهمك فى عمله ، وكأنه قد قام بعمل بسيط مألوف .

ما أن أصبح (نور) وحده داخل الغرفة الصغيرة ، حتى ضغط على بعض أزرار الكمبيوتر بترتيب خاص ، شعر بعده أن الغرفة كلها تدور ، ثم تهبط به أرضيتها إلى أسفل طابقًا واحدًا ، ويفتح بابها ليواجه (نور) مقر المخابرات العلمية فى (قنا) ..

توجّه (نور) نحو رجل يرتدى الملابس الرسمية ، وتبادلا التحية قبل أن يقول :

ــ أنا الرائد (نور الدين) من المكتب الرئيسى .. هل هو هنا ؟

أشار الرجل إلى اتجاه مبهم ، وهو يقول :

ــ نعم يا سيّدى الرائد .. إننا نضعه فى غرفة الاستجواب انتظارًا لحضورك .

مطّ (نور) شفتيه ، وهو يقول :

ــ إننى لا أميل لاستخدام غرف الاستجواب ، وإنما أفضل مواجهة خصمى وجهًا لوجه .

بدت الدهشة على الرجل ، وهو يقول :

ــ ولكن غرف الاستجواب مزودة بمجموعة من العدسات المقربة ، التى تتيح لك ملاحظة أى تغيير قد يحدث فى ملامح المتهم ، كما أنه يجلس على مقعد كشف الكذب و ...

قاطعه (نور) وهو يقول بحزم :

ــ يمكنه أن يظل جالسا على مقعد كشف الكذب ، ولكننى سأقابله وجهًا لوجه ، ولا داعى لعدساتكم المقرّبة .

هزّ الرجل كتفيه ، وهو يقول بمزيج من الدهشة والحيرة :

ـ كما تريد يا سيدى .

* * *

جلس (نور) بهدوء على مقعد مواجه لمقعد كشف الكذب ، وأخذ يتأمل الدكتور (سعيد) الذى جلس متوترا .. كان قصير القامة ، أصلع الرأس ، أشيب السالفين تمامًا ، له وجه نحيل ، وأنف طويل ، ويرتدى منظارًا طبيًا مستديرًا صغيرًا ، يكاد يخفى وجهه ..

ظلّ (نور) صامتا فترة طويلة ، ثم قال بهدوء :

ـ حسنًا يا دكتور (سعيد) .. هات ما عندك .

قلب الدكتور (سعيد) كفيه فى شكل يدل على الحيرة ، ثم قال :

ـ لست أدرى ماذا أقول أيها الشرطى ؟.. إننى لا أذكر شيئا عما تتهموننى به على الإطلاق .

عاد (نور) إلى صمته ، وهو يتأمل الحيرة الواضحة على وجه الدكتور (سعيد) ، ثم مال حتى أصبح وجهاهما شبه ملتصقين ، وقال ببطء وقوة :

ـ هل تعلم أن خدعة فقدان الذاكرة هذه قديمة للغاية يا دكتور (سعيد) ؟

حرك الدكتور (سعيد) رأسه فى أسى ومزيد من الحيرة وهو يقول :

ـ أقسم لك أننى لا أذكر شيئا أيها الشرطى .. لقد توجهت إلى فراشى فى الحادية عشر مساء ، وأفقت لأجد نفسى هنا .. هذا كل ما أذكره أقسم لك .

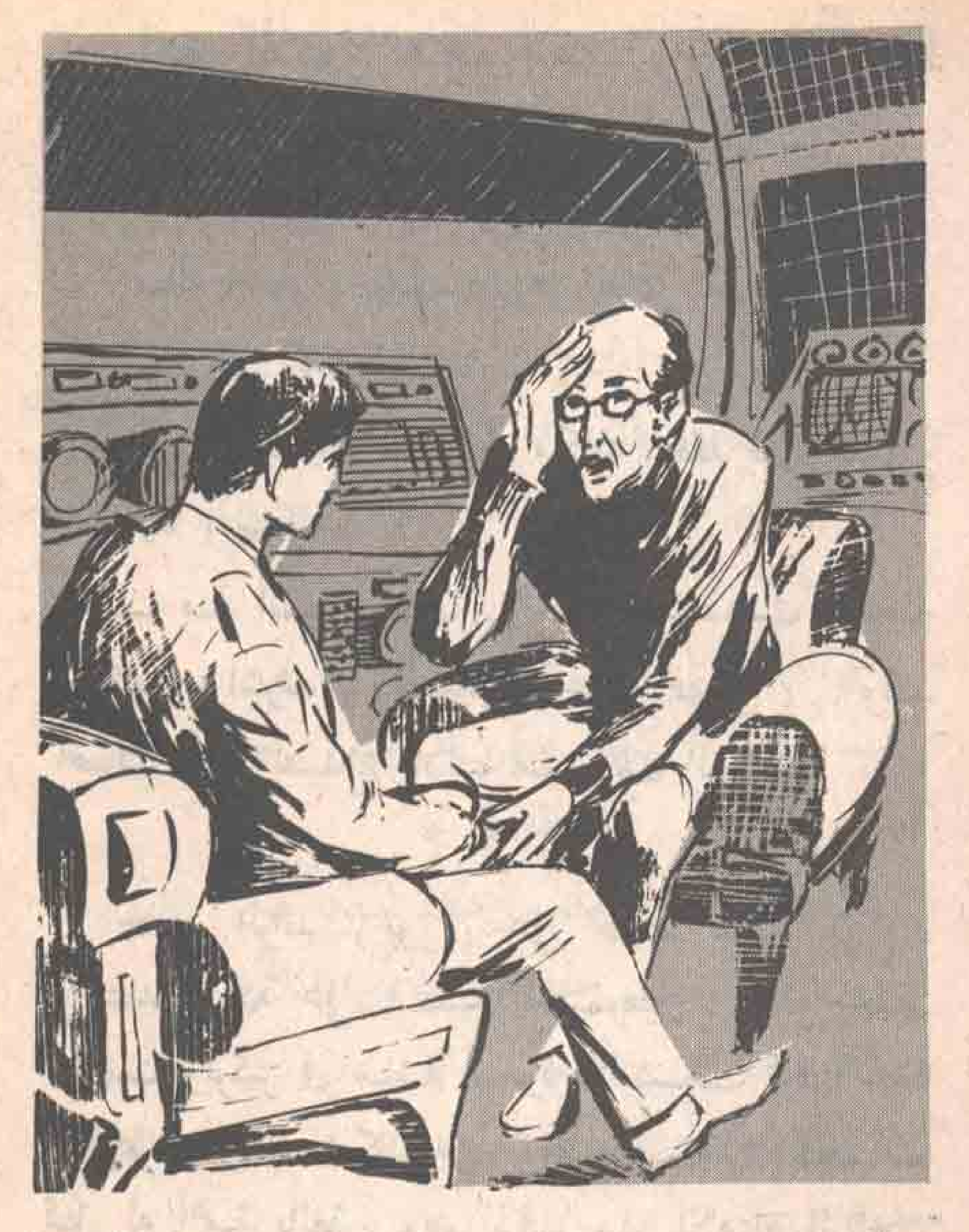
زوى (نور) ما بين عينيه مفكرا ، واستند برأسه إلى راحته ، وهو يعاود التأمّل فى ملامح الدكتور (سعيد) قبل أن يقول :

ـ هل سبق لك أن أصبت بمرض التجوال فى أثناء النوم يا دكتور ؟

هز الدكتور (سعيد) رأسه نفيا بقوة ، وهو يقول :

ـ مطلقا أيها الشرطى .. مطلقا .

ثم أمسك رأسه براحتيه ، وهو يتمتم بصوت ظهرت رنة الألم واضحة فى نبراته :



أمسك الدكتور (سعيد) بمعصم (نور) ، وهو يقول متوسلًا :
ـ أرجوك أيها الشرطى .. دعهم يسمحون لى بالنوم ..

ـ رباه .. يا لهذا الصداع اللعين .. ألن تدعونى أنام قليلاً ؟

قطَّب (نور) حاجبيه ، وقال :

ـ ألم تنم منذ صباح أمس يا دكتور ؟

أمسك الدكتور (سعيد) بمعصم (نور) ، وهو يقول متوسلاً :

ـ أرجوك أيها الشرطى .. دعهم يسمحون لى بالنوم .

ظهر الغضب فى وجه (نور) وصوته ، وهو يقول :

ـ ليس لأحد الحق فى منعك من النوم وقتما يحلو لك يا دكتور .. إننا لسنا فى معسكر اعتقال نازى .. إننا فى مصر ، وسأعاقب المسئول عن عدم نومك .

وأعقب قوله بأن نهض واقفًا ، واستدار لمغادرة الغرفة ، ولكنه توقف قبل أن يدير مقبض الباب ، والتفت إلى الدكتور (سعيد) وسأله :

ـ منذ متى ينتابك هذا الصداع يا دكتور ؟

أخفى الدكتور (سعيد) عينيه براحته وهو يضغط صدغيه ، محاولا التغلب على الصداع ، وقال :

ـ منذ عودتنا من الموقع الاختبارى الجديد .

سأله (نور) بهدوء ، وهو يغادر الغرفة :

ـ ومتى كان ذلك ؟

سمعت إجابته (نور) فى مكانه ، فقد قال الدكتور (سعيد) بهدوء :

ـ منذ أسبوع تقريبًا .. كنت قد ذهبت بصحبة الدكتور (أشرف) ومهندس يدعى (فهمى) .. ولقد أصاب هذا الصداع ثلاثتنا منذ ذلك اليوم .

* * *

جلس الرائد (نور) على مقعد هوائى مريح ، واعتمد بذقنه على قبضتيه المضمومتين ، وهو يحدق بصمت وتركيز فى شاشة صغيرة ، ارتسمت فوقها عدة خطوط متدرجة .. كان من الواضح أن هذه المنحنيات تمثل له أهمية بالغة ، وهو يرقبها بهذا الاهتمام البالغ ،

حتى اقترب منه أحد رجال المخابرات ، وقال :

ـ النتائج لا تقبل الشك يا سيادة الرائد .. أليس كذلك ؟

مطَّ (نور) شفتيه ، وهو يقول :

ـ نعم أيها الملازم .. من الواضح أن الدكتور (سعيد) متوتّر وقلق للغاية ، ولكنه صادق فى كل كلمة نطق بها ، وهذا ما تدلّ عليه المنحنيات المرسومة على الشاشة .

هزَّ الملازم رأسه فى حيرة ، وقال :

ـ عجبا !! كيف يمكن أن ينسى رجل له عقلية الدكتور (سعيد) ما فعله ؟

قال (نور) ، وهو ينهض ويحكم سترته فوق كتفيه :

ـ ربما لا يدرى حقًّا ما فعله أيها الملازم .

قطَّب الملازم حاجبيه ، وقال :

ـ لا يمكننى أن أصدق ذلك يا سيادة الرائد .. معذرة .

ابتسم (نور) وقال وهو يغادر الغرفة :

ــ ليس من حقنا أن نصدق أو لا نصدق أيها الملازم .. المهم أن يتفق اعتقادنا مع الحقائق التى أمامنا ..

ثم زوَى ما بين حاجبيه ، وقال مستطردًا :

ــ ولن تكتمل هذه الحقائق ، قبل أن أنهى التحقيق فى (سفاجة) مع الدكتور (أشرف) .

* * *

كان الدكتور (أشرف) على نقيض الدكتور (سعيد) ، طويل القامة ، كثيف الشعر أسوده ، ويحمل ملامح وسيمة هادئة .. ولكنه استقبل (نور) بنفس الدهشة والحيرة المرتسمتين على وجهه ، وما أن سأله (نور) عما حدث ، حتى مال إلى الأمام وقال بهدوء :

ــ اسمع أيها الشرطى .. قد لا يمكننى تفسير ما حدث أو ما تدّعون أننى قد ارتكبته . ولكننى أستطيع مناقشته بأسلوب علمى .

ابتسم (نور) ، وقال وهو يسترخى فى مقعده :

ــ حسنا يا دكتور (أشرف) ، كلى آذان صاغية .

ازدرد الدكتور (أشرف) ريقه ، وقال :

ــ دعنا ندرس الأمر منذ البداية .. لقد أوَيْتُ إلى فراشى فى الثانية عشر مساء ، أى فى منتصف الليل تقريبا و ...

قاطعه (نور) مبتسما ، وهو يقول بهدوء :

ــ ما دمنا قد اتفقنا على أن نبدأ الأمر منذ البداية ، فلنعد إلى البداية الفعلية يا دكتور (أشرف) .

نظر إليه الدكتور (أشرف) فى دهشة ، وقال :

ــ ماذا تعنى أيها الشرطى ؟.. لم يحدث شىء قبل ذهابى إلى الفراش .

حافظ (نور) على ابتسامته ، وهو يقول :

ــ إن البداية لم تكن فى تلك الليلة يا دكتور (أشرف) ، وإنما كانت منذ أسبوع تقريبًا .. وبمعنى أدق ، منذ أصابك ذلك الصداع المتواصل .

فغر الدكتور (أشرف) فاه دهشة ، وحدّق فى وجه (نور) صامتًا ، ثم قال :

ـ كيف علمت بأمر هذا الصداع ؟.. إننى لم أخبر به أحدا على الإطلاق .

هزَّ (نور) كتفيه ، وقال :

ـ فيما عدا الدكتور (سعيد) بالطبع .

كانت دهشة الدكتور (أشرف) بالغة ، وهو يحدِّق فى وجه (نور) هذه المرة ، ولكنه سرعان ما ابتسم فى حيرة وهو يقول :

ـ هل تقرأ الأفكار أيها الشرطى ؟

ابتسم (نور) وقال :

ـ لست أمتلك هذه المقدرة للأسف يا دكتور (أشرف) ، ولكننى علمت ذلك من الدكتور (سعيد) شخصيًّا .. والآن دعنا ندرس الأمر منذ البداية .. منذ ذهابكم إلى الموقع الاختبارى الجديد .

تراجع الدكتور (أشرف) فى مقعده ، وقال :

ـ حسنا أيها الشرطى .

قاطعه (نور) قائلا :

ـ اسمى الرائد (نور الدين) .

ابتسم الدكتور (أشرف) ، وهو يقول :

ـ حسنا أيها الرائد (نور) ، فلنبدأ منذ زيارتنا للموقع .. لقد وصلنا نحن الثلاثة : أنا والدكتور (سعيد) والمهندس (فهمى) إلى الموقع الذى تم اختياره ، لتجربة جهاز كشف المعادن الإليكترونى الحديث ، وهو موقع يشبه مثلثا متساوى الأضلاع ، فى منتصف المسافة ما بين (قنا) و (سفاجة) و (القصير) بالضبط ، وهى منطقة جبلية صخرية ، يؤمل ثراؤها بالمعادن الثمينة المختلفة ، ولقد كان وصولنا فى السابعة صباحًا ، وما أن وضعنا رحالنا حتى ... حتى ....

ضاقت عينا (نور) ، وهو يحدِّق فى وجه الدكتور (أشرف) بذهول ، فلقد زاغت نظرات هذا الأخير

وشردتا بشكل عجيب واتسعت حدقتاه ، مخالفة قاعدة سقوط الضوء فوقهما ، وشحب وجهه بشدة حتى استحال تورّد بشرته إلى لون أبيض مخيف ، وظلّ يردّد الكلمة الأخيرة كأسطوانة أصابها العطب ، ثم نهض بهدوء ، وتركزت نظراته على وجه (نور) ، الذى نهض هادئًا دون أن يرفع بصره عنه .

وفجأة ظهر الغضب على وجه الدكتور (أشرف) ، وانفرجت شفتاه بشراسة ووحشية،وهو يقول :

ـ الدمار !! القتل !! الدمار !!

ثم قفز نحو (نور) وهو يصرخ كحيوان مفترس ، وأحاط عنقه بذراعيه ، وهو يصيح مزمجرًا بوحشية :

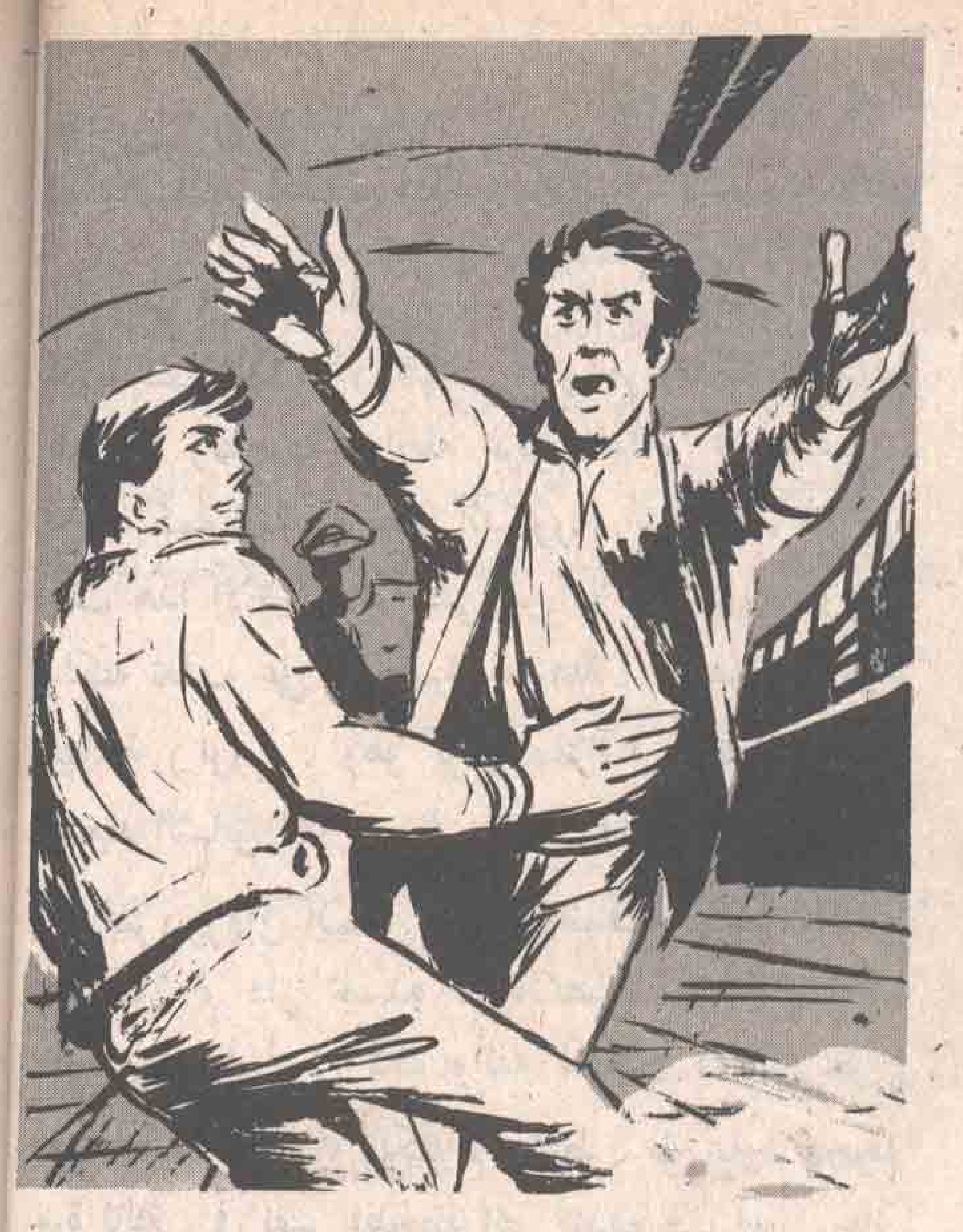
ـ القتل !! القتل !!

* * *

٤ ـ ثورة العقل ..

شعر (نور) بألم شديد فى عنقه ، الذى انضغط تحت كفى الدكتور (أشرف) ، وشعر بحاجته الشديدة للهواء ، وتفجرت بداخله غريزة الدفاع عن النفس ، فوجّه لكمة قوية إلى معدة الدكتور (أشرف) ، فتراخى كف هذا الأخير وهو ينثنى من آلام لكمة (نور) ، ولكنه تغلب على ألمه بسرعة مذهلة ، وانتصب وعاود مهاجمة (نور) ، وهو يزمجر بشراسة لا تتناسب مع هدوئه السابق ..

قفز(نور)إلى اليسار،متفاديًااندفاع جسدالدكتور (أشرف) ثم دار بجسده دورة نصف كاملة ، ولكم الدكتور(أشرف) فى فكه وأنفه لكمتين متتاليتين،ترنح بعدها هذا الأخير ، ولكنه لم يسقط ، بل عاود هجومه مرة ثالثة ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها أحد رجال



ود مهاجمة (نور) ، وهو يزمجر بشراسة
لا تتناسب مع هدوئه السابق ..

المخابرات العلمية داخل الغرفة ، شاهرا مسدسه الليزرى ، فى محاولة للدفاع عن (نور) ، فهتف هذا الأخير :

ـ لا تطلق أشعتك .. دعه لى .

كان الدكتور (أشرف) قد قفز فى هذه اللحظة وهو يطلق صيحة وحشية مرعبة نحو (نور) ، الذى تفاداه بمهارة ، ثم هوى على مؤخرة عنقه بقبضته ، فأسقطه على الأرض فاقد الوعى .

وقف رجل المخابرات العلمية ينظر إلى الدكتور (أشرف) الفاقد الوعى ، ثم تمتم بدهشة :

ـ يا للهول .. لقد أصيب الرجل بالجنون .

قال (نور) بهدوء ، وهو يتحرك مغادرا الغرفة :

ـ إننى لا أتفق معك فى مسألة الجنون هذه يا صديقى ..

نظر إليه الرجل فى دهشة ، إلا أن (نور) تابع بهدوء :

ـ وهذا يتوقف على ما سجلته منحنيات عقله ، فى أثناء هذه الثورة المفاجئة .

* * *

أشار (نور) إلى الشاشة الصغيرة ، وقال لرجل المخابرات الجالس بجواره :

ـ انظر إلى هذا الارتفاع الشديد ، الذى سجلته منحنيات إشارات المخ فى أثناء هذه الثورة .. عجبا .. إننى لم أر لها مثيلا من قبل .

قال الرجل وهو يتأمل المنحنيات المرسومة على الشاشة باهتمام :

ـ هذا صحيح .. إنها لا تشبه أيًا من المنحنيات التى درسناها فى كلية الشرطة ، إنها تبدو أعنف وأكثر قوة .

شرد (نور) ببصره ، ووضح من تقطيب حاجبيه أنه يفكر بعمق شديد ، فسأله زميله :

ـ هل هناك فكرة معينة تدور فى رأسك يا سيادة الرائد ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابا ، وقال :

ـ فى الواقع يا صديقى أننى تساءل عما إذا كان الذى سمعته منك صحيحًا .

زوى الرجل ما بين حاجبيه ، وقال :

ـ ماذا تعنى يا سيدى ؟

تحرك (نور) بضع خطوات ، ليتوقف أمام خريطة ضوئية ضخمة تملأ الحائط المواجه بأكمله ، وتأملها لحظة قبل أن يقول :

ـ لقد درسنا جهاز كشف الكذب فى كلية الشرطة يا صديقى .. درسناه بتعمُّق ، إلا أننا لم ندرس فيه سوى المنحنيات التى يصنعها العقل فى حالات الصدق والكذب والتوتر والقلق والحيرة ، وأنت تعلم أن هذا الجهاز يعتمد على تغير إشارات المخ ، ومعدل التنفس ، وعدد نبضات القلب ، وخروج العرق من مسام الجلد فى كل من الحالات السابقة .. ولكننا لم ندرس ما يمكن أن يسجله هذا الجهاز فى حالات الجنون ، أو عدم الانضباط العقلى .

مطّ الرجل شفتيه ، وقال :

ــ أعتقد أنها لا تختلف عما سجله الجهاز فى حالات التوتر والقلق يا سيادة الرائد .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ من الخطأ أن نجزم بما لا نعرف يا صديقى .. إن تفسير مثل هذه المنحنيات العقلية يحتاج إلى خبير فى الشئون العقلية .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة ، وهو يقول بصوت خافت :

ــ أو بمعنى أصح ، يحتاج إلى طبيب نفسى خبير ومعتاد على مثل هذا النوع من الغموض العلمى .

* * *

توقفت سيارة أنيقة أمام فندق (سفاجة) السياحى ، وهبط منها شابان تطلع أحدهما إلى الفندق الضخم ، وقال مبتسمًا :

ــ يبدو أن (نور) يواجه مأزقا حرجا هذه المرة ..

فلقد استدعانا بعد أن باشر المهمة بالفعل .

ابتسم الشاب الآخر ، الذى لم يكن سوى (محمود) ، المهندس والخبير فى عالم الأشعة ، وقال لزميله وهو يشير إلى (نور) الذى تقدّم نحوهما باسمًا عبر مدخل الفندق :

ــ ها هو ذا قائدنا الهمام يا عزيزى (رمزى) ، كم أشعر بالسعادة لرؤيته .

استقبلهما (نور) بحرارة ، وصحبهما إلى غرفته فى الطابق العشرين من الفندق ، وما أن استقر بهما المقام حتى شرع (نور) يقص عليهما تفاصيل ما حدث ، منذ كلّفه القائد الأعلى المهمة ، حتى لحظة وصولهما ، وما أن انتهى من السرد حتى ساد الصمت التام وأخذ كل منهم يعمل عقله مفكرًا ، إلى أن قال (رمزى) :

ــ إن الامر يحتاج أولا إلى رؤية تلك المنحنيات التى صنعها عقل الدكتور (أشرف) ، قبل أن أجزم بأمر ما .

أومأ (نور) برأسه موافقا ، وقال :

ـ لقد توقعت ذلك ، وأحضرت لك تسجيلاً لهذه المنحنيات ، سأدعك تشاهده على الفور .

توجّه (نور) نحو شاشة صغيرة ، وضغط على زر مجاور لها ، فارتسمت على سطحها عدة منحنيات ، تتحرك من اليمين إلى اليسار ، واتخذ (رمزى) مقعده أمام الشاشة ، وأخذ يراقب المنحنيات بنظرة خبيرة ، وهو يقول :

ـ من الواضح أنها منحنيات جهاز كشف الكذب ، وهى تقول فى هذه المرحلة أن صاحبها متوتر وقلق للغاية ، ولكنه صادق فى أقواله ، ولقد صادفته لحظة من الدهشة الشديدة ، ثم استعاد هدوءه ، وبدأ فى ترتيب أفكاره ، وما زال حتى هذه النقطة يدلى بالحقائق و ... يا إلهى !!

كانت المنحنيات التى سجلها الجهاز ، أثناء ثورة الدكتور (أشرف) ، هى التى تمر على الشاشة فى تلك اللحظة ، فقفز (رمزى) من مقعده ، وقرَّب وجهه منها يراقبها بشدة ، ثم صاح :

ـ ربَّاه !! إننى لم أر مثل هذه المنحنيات من قبل .. إنها عنيفة وقوية للغاية ، حتى أنه من المستحيل أن يصدرها العقل البشرى .

ثم أشار إلى الشاشة ، وهو يقول بثقة وبلهجة لا تقبل الشك :

ـ لا يمكن .. بل من المستحيل أن يصدر كائن حىّ مثل هذه المنحنيات ، إلاّ إذا بلغت إشارات عقله أربعة أضعاف قدرة العقل البشرى على الأقل .

زوى (نور) ما بين حاجبيه ، وهو يسأله باهتمام :

ـ ألا تشبهُ ما يحدث فى حالة الجنون ؟.. ولو حتى كانت مضاعفة ؟

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا بقوة ، وهو يقول :

ـ مطلقًا أيها القائد .. إننى لم أر لها مثيلاً من قبل .. هذا مذهل .

أوشك (نور) أن يعاود سؤال (رمزى) ، إلا أن (محمود) تدخل فجأة قائلاً :

ــ لحظة أيها القائد .. أعتقد أن هذه المنحنيات تشبه ما قد يحدثه تردد كهربى قوى ، أو شىء من هذا القبيل .

صنعت عبارة (محمود) ما يمكن أن تصنعه صدمة كهربائية قوية ، إذ انتفض جسد (نور) فجأة ، واتسعت عيناه وهو يحدق فى وجه رفيقه ، قبل أن يقول بصوت متحشرج من شدة الانفعال :

ــ هل أنت واثق مما تقول يا (محمود) ؟

تردد (محمود) طويلا ، ثم قال :

ــ فى الواقع أيها القائد .. أنت تعلم أن مجالى هو علم الأشعة واستخداماتها ، وهذا يمنعنى من الجزم بذلك .. لو أن (سلوى) .. أعنى لو أن زوجتك معنا هذه المرة ، لكان رأيها أكثر تأكيدًا ، فهذا مجالها .

قطّب (نور) حاجبيه ، وعاد الصمت يخيم على الغرفة ، إلى أن قطعه قائلاً :

ــ لا بأس.. يمكننى أن أسافر إلى القاهرة، وأعرض

التسجيل والفكرة على (سلوى) .. ويبدو أن القدر يرفض موافقة القائد الأعلى على أن أعمل منفردا .

وضغط فى أثناء حديثه على زر صغير ، فتغيرت الصورة المرتسمة على الشاشة ، وحلت محلها خريطة لجمهورية مصر العربية .. أشار (نور) إلى مثلث صغير مرسوم باللون الأحمر، يتوسط المسافة بين (قنا) و(سفاجة) و (القصير) ، وقال بلهجة بدت لزميليه غامضة :

ــ ولكننى مصر على أن أحل هذا الغموض داخل هذا المثلث يا رفاق ، وستثبت الأيام أننى كنت على حق .

* * *





٥ ــ نحو الهدف ..

تهللت أسارير (سلوى)،وامتلأت ملامحها بالسعادة ، عندما شاهدت سيارة (نور) وهى واقفة أمام منزلهما ، فأسرعت لاستقباله، وتعلقت بعنقه وهى تقول :

ــ ما أسعدنى برؤيتك يا زوجى العزيز .. كيف أنهيت مهمتك بهذه السرعة ؟

ابتسم (نور) ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

ــ يؤسفنى أن أخيب رجاءك يا عزيزتى ، فما أتيت إلا من أجل هذه المهمة المعقدة .

نظرت إليه (سلوى) فى دهشة ، ثم قالت بهدوء :

ــ هل تحتاج إلى معاونتى يا (نور) ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابا ، وتحرك بهدوء نحو الكمبيوتر المنزلى ، ودسّ فى فراغه الجانبى متوازى مستطيلات بلّوريًا شفافا، وضغط زرًا صغيرا وهو يقول :

ــ أحتاج إلى خبراتك فى الاتصالات والتتبع يا (سلوى) .. راقبى معى هذه المنحنيات ، وأخبرينى عن كنهها .

راقبت (سلوى) المنحنيات المرسومة على الشاشة ، إلى أن وصلت إلى المنحنيات القوية التى أحدثها عقل الدكتور (أشرف) ، وتوقع منها (نور) الدهشة ، إلا أنها قالت بهدوء :

ــ لست أدرى نوع المنحنيات السابقة يا (نور) ، ولعلها إشارات مخية حسبما أذكر ، أما الأخيرة فهى منحنيات تمثل موجات فائقة القصر ، أدت إلى تقوية المنحنيات الأولية .

زوى (نور) ما بين حاجبيه ، وهو يتمتم قائلا :

ــ بهذه البساطة ؟

هزّت (سلوى) كتفيها ، وقالت :

ــ إنها واضحة للغاية يا (نور) ، حتى أن الأمر لا يحتاج إلى الخبراء .

ربّت (نور) على وجهها ، وهو يقول بشرود :

ــ معذرة يا عزيزتى ، فسأغادرك على الفور .. فهناك ما أودّ مناقشته مع زميلنا (رمزى) .

* * *

خفض (نور) من سرعة سيارته الصاروخية ، بحيث لم تتجاوز مائتى كيلومتر وهو ينطلق نحو (سفاجة) ، حيث ترك رفيقيه (رمزى) و (محمود) ، فلقد كان يشعر بحاجة ملحة للتفكير والتعمق فى هذا اللغز الغامض ، الذى يواجهه بطريقة مختلفة عما اعتاده من قبل ، فها هو ذا أمام ثلاثة رجال لهم مراكزهم العلمية المرموقة ، يصابون فجأة بحالة من الجنون العنيف ، فيقومون بمهمة انتحارية لتحطيم ومحو كل ما يتعلق بجهاز جديد للكشف ، مضحين بمراكزهم العلمية والأدبية وبحياتهم أيضًا .. فما الذى يدفعهم إلى ذلك ؟.. ثم إن هؤلاء الثلاثة يشتركون فى زيارتهم لبقعة مثلثة من الأرض غير مأهولة ، فيصابون جميعًا بصداع عجيب ، ويتحركون بشكل آلى مذهل ..

ما أن وصل بتفكيره إلى هذه النقطة ، حتى رفع صوته وكأنه يحدث شخصًا وهميًا جالسًا بجواره ، وأخذ يقول :

ـ من الواضح أن شيئًا ما يسيطر على عقولهم .. شيئًا له من القوة ، ما يدفعهم للقيام بأعمال يرفضونها تمامًا وهم فى وعيهم .. وهذا الشىء يرقد تمامًا هادئًا مطمئنًا فى ذلك المثلث .. مثلث الغموض .

* * *

شبَّك المهندس (محمود) أصابع كفيه أمام وجهه ، وقطَّب حاجبيه وهو يقول :

ـ إذن فهى موجات فائقة القصر .. أعتقد أن لدى نظرية معقولة فى هذه الحالة .

سأله (نور) باهتمام :

ـ هات ما عندك يا (محمود) .

مال (محمود) إلى الأمام ، وقال وهو يشير بسبابته :

ـ ما دام احتمال أن يكون هؤلاء الثلاثة مجرد أشخاص آلية ، قد استبعد تمامًا بعد تشريح جثة

المهندس (فهمى) ، فلم لا نفترض وجود موجات لها القدرة على السيطرة على العقول البشرية .. موجات يتم توجيهها من بعيد ، بحيث تحول البشر إلى آلات مبرمجة ، تنفذ الأوامر فحسب ؟

ظل (نور) صامتًا لحظة ، ثم استدار إلى (رمزى) وقال :

ـ نظرية معقولة .. ترى هل تتناسب مع معلوماتك عن العقل البشرى يا (رمزى) ؟

أومأ (رمزى) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ إنها تتعارض مع تلك المعلومات للأسف أيها القائد ، فمن المعروف أن السيطرة على العقل البشرى على الرغم من إرادته مستحيلة تقريبًا .. حتى التنويم المغناطيسى لا يمكن أن يتم إذا ما رفض الشخص المعرض له أن يستجيب ، ولقد حاول أحد العلماء ويدعى الدكتور (رءوف عامر) ، أن يدفع شخصًا تحت تأثير التنويم المغناطيسى ، إلى أداء أعمال يرفضها وهو فى

وعيه ، ففشل تمامًا .. فلقد كانت هذه الإرادة البشرية ، تقف حاجزًا صلبًا أمام ما يرفضه الإنسان .

زوى (نور) ما بين حاجبيه ، وقال :

ـ ألم تنجح محاولات الدكتور (رءوف) أبدًا ؟

مطّ (رمزى) شفتيه ، وهو يقول :

ـ مطلقًا .. لقد كان الشخص الواقع تحت تأثير التنويم المغناطيسى ، يطيع بلا مناقشة كل الأوامر التى توجه إليه ، إلا إذا تعارضت مع مبادئه ، فإنه يرفضها فورًا .. بل يستيقظ أحيانًا من التنويم المغناطيسى .

ظلّ (نور) صامتًا يفكر فيما سمعه من (رمزى) ، ثم رفع رأسه قائلاً :

ـ وماذا لو تمكنا بوسيلة ما من السيطرة على الإرادة البشرية ؟.. أيخضع الإنسان فى هذه الحالة إلى أوامر المنوم المغناطيسى ، حتى لو تعارضت مع مبادئه ؟

هزّ (رمزى) كتفيه ، وقال :

ـ نعم .. ولكن لا يمكن إحداث ذلك إلا بواسطة

ما يسمى بغسيل المخ ، وهو ما يحتاج إلى إخضاع الإنسان لعدة وسائل عنيفة وقاسية ، بل يمكن اعتبارها أحد وسائل التعذيب .. وهذا يستغرق بالطبع وقتا طويلا للغاية ، قد يصل إلى عدة شهور وربما سنوات ، إذا ما كان هذا الشخص قوى الإرادة مثلاً .

سأله (نور) :

ـ أيمكن الوصول إلى هذه الطريقة بسرعة ؟.. عن طريق استئصال مركز الإرادة فى المخ مثلا ؟

ابتسم (رمزى) ، وقال :

ـ على عكس ما يظن الجميع لا يوجد مركز للإرادة فى المخ البشرى ، ولا حتى مركز للذاكرة ، وإنما تشترك مراكز المخ بأكملها لصنع ذلك .

أخذ (نور) يسير فى الغرفة عاقدا كفيه خلف ظهره ، وزاويا ما بين حاجبيه مفكرا ، ثم التفت إلى (رمزى) مبتسما ، وقال :

ـ إنك تزيد الأمر تعقيدا بهذه المعلومات يا عزيزى (رمزى) .

ثم تحوّلت ملامحه إلى الجدية ، وهو يستطرد قائلاً :

ــ هل فحصت صور الأشعة التى تم التقاطها لمخ الدكتور (سعيد) والدكتور (أشرف) يا (رمزى) ؟

أومأ (رمزى) برأسه إيجابا ، وقال :

ــ نعم أيها القائد .. فحصتها جيدا ، ولم أجد فيها ما يريب على الإطلاق .

ظهرت الحيرة على وجه (نور) ، وهو يقول :

ــ عجبًا .. إن الأمور لا تتفق منطقيًّا مع هذه المعلومات يا رفاق .. كلما حاولت التوصل إلى استنتاج ما ، واجهتنى نقطة عنيدة أعجز عن تفسيرها .. إننى أشعر بالحيرة حقًّا هذه المرة يا رفاق .

وأشرقت ملامحه فجأة ، وهو يرفع سبابته أمام وجهه قائلا :

ــ ولكننى لم أيْئَسْ بعد .. فما زال أمامنا طريقان سنسلكهما فى آن واحد .

سأله (محمود) بفضول واهتمام :

ــ ما هما أيها القائد ؟

توجه (نور) نحو جهاز التليفيديو ، وهو يقول مبتسما :

ــ سأطلب من الدكتور (محمد حجازى) إعادة تشريح جثة المهندس (فهمى) ، وفحص مخه بالذات بكل الوسائل المتاحة ، حتى ولو أدى الأمر إلى فحص كل خلية من خلاياه .

سأله (رمزى) ، وهو ينهض متلهفا :

ــ وما الطريق الثانى أيها القائد؟

رفع (نور) رأسه ، وساد الصمت لحظة قبل أن يضغط أزرار التليفيديو ، وهو يقول :

ــ سنفحص نقطة البداية معًا يا رفاق .. سنجرى أبحاثنا فى مثلث الغموض نفسه .

* * *



٦ ـ مفاجأة فى المثلث ..

هبط (نور) من سيارته ، ودار ببصره فى المنطقة الجبلية الصخرية التى تصنع ذلك المثلث المتساوى الأضلاع ، الذى أطلق عليه اسم الموقع الاختبارى الجديد فى الأوساط المهتمة بالتعدين ، والذى أطلق عليه (نور) اسم مثلث الغموض .

هبط (رمزى) و (محمود) بدورهما خلف (نور) ، وظل الجميع صامتين أكثر من دقيقة ، حتى بدأ (محمود) الحديث قائلا :

ـ لماذا بالله عليكم وقع اختيار العلماء على هذه المنطقة كموقع اختبارى ؟

ابتسم (نور) وهو يقول :

ـ لا ريب أن لديهم مبرراتهم يا عزيزى (محمود) ، فمثل هذه الأمور لا تتم عبثًا .

قال (رمزى) ، وهو يتأمل الجبال المنتشرة فى كل مكان فى رهبة :

ـ ولكن ما الذى يمكن أن يحدث هنا ؟.. إنها منطقة موحشة للغاية .

نظر (محمود) فى ساعته الذرية ، وقال مداعبا :

ـ هذا صحيح يا رفيقى ، ولهذا فأنا أقترح أن نتم فحصنا بسرعة ، فبعد ثلاث ساعات بالضبط سيحل الظلام ، ولا أعتقد أن هذه المنطقة ستبدو مبهجة بعد الغروب .

ضحك (نور) وهو يقول :

ـ يا للهول !! لقد سئمت الرقم (ثلاثة) هذا يا (محمود) ، فهو يرتبط بكل شىء فى مهمتنا هذه .. ثلاثة علماء .. ثلاث مدن .. منطقة مثلثة .. حتى فريقنا هذه المرة يعمل بثلاثة أفراد فقط ، و (سلوى) مضطرة للبقاء فى المنزل بسبب حملها .

بدا صوت (رمزى) مضطربا ، وهو يقول من خلفهما :

ـ يمكنك أن تضيف ثلاثة رجال ، يثير مرآهم الخوف أيها القائد .

التفت (نور)و (محمود) بدهشة إلى حيث يقف (رمزى) ، واتسعت عيونهما دهشة ، عندما وقع بصرهما على ما تشير إليه سبابة (رمزى) المرتعدة .. فعلى مقربة من سيارتهم وأمام سفح الجبل المواجه لهم مباشرة ، وقف ثلاثة رجال جامدى الملامح ، وفى قبضة كل منهم مسدس ليزرى موجه إلى أفراد الفريق .

* * *

تحرك (نور) بسرعة لا تتفق مع طبيعته الهادئة ، فدفع رفيقيه بيسراه ، ليبعدهما عن طريق الأشعة الفاتكة التى انطلقت من المسدسات الثلاثة ، ثم سحب مسدسه بيمناه وهو يقفز إلى اليمين ، فى نفس اللحظة التى أصابت فيها إحدى طلقات الليزر الأرض بجوار قدمه تمامًا ، وانطلقت من فوهة مسدسه دفقتان من الأشعة أذابتا مسدسى الرجلين ، الأول والثانى ..

كان الرجل الثالث قد صوّب مسدسه نحو (رمزى) و (محمود) ، إلا أن شيئًا ما جعله يستدير ويطلق أشعته نحو (نور) ، وكأنما شعر أنه أخطر الثلاثة .

قفز (نور) جانبا ، وأذاب مسدس الرجل الثالث بطلقة محكمة ، ثم صوّب مسدسه إلى الرجال الثلاثة ، وهو يصيح بلهجة حازمة قوية :

ـ حذار من الاقتراب ، فسأطلق النار على أول من يتحرك منكم .

خيل لـ (نور) أن تهديده لم يصل إلى مسامع الرجال الثلاثة ، أو أنهم يملكون جسارة الأسود ووحشية الذئاب ، إذ أنهم هاجموه بشراسة ، غير مبالين بالمسدس المشرع فى يده ..

وتردد (نور) وهو يتقهقر عدة خطوات .. كانت طبيعته تكره العنف والقتل ، حتى فى المواقف التى يتعرض فيها لخطر الموت .. كان يشعر وكأن يدًا تمسك بمعصمه ، وتمنعه من إطلاق أشعته على الرجال الثلاثة ..

ولم يطل تردده .. فما أن أصبح أولهم على بعد خطوات منه ، حتى ألقى بمسدسه بعيدًا ، ولكم الرجل لكلمة أودعها كل ما لديه من قوة ، فأطاح به بعيدًا ، ثم استدار مواجها الرجلين الآخرين ، إلا أنه فوجئ بـ (رمزى) و (محمود) يهاجمان الرجلين ، وسمع صوت رفيقه (رمزى) يقول :

ـ ثلاثة ضد ثلاثة تتزن الكفة أيها القائد .

أسرع (نور) يعاون (محمود) ، فقد كان يعلم كم هو ضعيف البنية .. وبضربة فنية ماهرة ، صرع الرجل الذى يتصارع معه (محمود) ، ثم صاح برفيقيه :

ـ أسرعا إلى السيارة .. سنبتعد عن هذا المكان المجنون بأسرع ما يمكننا .

غاص (رمزى) بقبضته فى معدة خصمه ، ثم طوّح بقبضته الأخرى فى فكه ، وأسرع يقفز فى السيارة ، وتبعه (محمود) ، على حين اتخذ (نور) مقعده أمام أزرار القيادة ، وانطلقت السيارة الصاروخية وهى تزأر كوحش مفترس .

ولكم الرجل لكمة أودعها كل ما لديه من قوة ، فأطاح به بعيدًا ، ثم استدار مواجهًا الرجلين الآخرين ..

اتسعت عينا (نور) دهشة ، عندما برزت سيارات ثلاث لتسد أمامه طريق العودة ، فصاح برفيقيه :

ـ ها هى ذى عقدة الرقم (ثلاثة) مرة أخرى يا رفاق .. احترسا ، فسنقوم بمناورة خطرة .

أدار (نور) عجلة القيادة بقوة وحدّة ، فدارت سيارته حول نفسها بشكل مرعب ، وسمع (رمزى) و (محمود) صوت (نور) وهو يصيح بذعر :

ـ يا إلهى !! يا له من جنون !!

كانت إحدى السيارات الثلاث قد اندفعت بشكل انتحارى ، وبسرعتها البالغة خمسمائة كيلومتر نحو سيارة (نور) ، التى تدور بزاوية حادة وبسرعة بالغة .

كانت الأفكار تدور بسرعة مذهلة فى عقل (نور) ، حتى أن كل الأحداث التى مرت به منذ بداية المهمة قد ارتسمت فى ذهنه ، وترتبت فى ذلك الجزء من الثانية ، الذى شاهد فيه السيارة الصاروخية وهى تندفع نحو سيارته بهذا الشكل الانتحارى المتهوّر ، وبرقت عينا

ببريق كان من الممكن أن يدفع رفيقيه لتنتز فرحا ، لو أنهما شاهداه فى ظروف أخرى ولفترة مناسبة .. أما فى هذا الجزء من الثانية ، فقد احتبس صوت (رمزى) وجحظت عيناه ذعرا ، وصرخ (محمود) مادًا كفه وكأنه يحاول منع الارتطام المنتظر ..

كان من المستحيل بمثل هذه السرعة أن يتفادى (نور) الارتطام ، وشعر بسيارته تحتك بالصخور ، ثم اصطدمت به السيارة الأخرى ، وتردّد فى المنطقة الجبلية الموحشة صوت الارتطام المعدنى القوى .. وشعر (نور) بسيارته ترتفع عن الأرض ، وأظلمت السماء أمام عينيه ، ثم سقط فى دوامة عقلية عميقة ، ليس لها من قرار .

* * *

٧ ــ لقاء الجنون ..

انهمك الدكتور (محمد حجازى) فى أداء العمل الذى كلفه إياه (نور) ، واستغرقه هذا العمل ، حتى أنه لم يشعر بمرور الوقت ، إلى أن اقترب منه مساعده (جمال) وسأله باهتمام :

ــ هل يحتاج فحص المخ البشرى إلى كل هذا الوقت يا سيدى ؟

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه نفيًا ، وضغط بإصبعه على مقلتيه ، محاولاً طرد التعب والنعاس منهما ، ثم قال :

ــ إنه لا يستغرق كل هذا الوقت فى العادة يا (جمال) ، ولكن هذا المخ بالذات أقوم بفحص كل خليَّة من خلاياه ؛ فلا بد أن أجزم تمامًا بأنه لا يحتوى على أى شىء مخالف للمألوف ، أو أتوصل إلى ما يضىء الطريق أمام الرائد (نور) .

سأله (جمال) :

ــ وهل توصلت إلى شىء يا سيدى ؟

عاد الدكتور (حجازى) يهز رأسه نفيا ، ويقول :

ــ ليس بعد يا (جمال) .. لقد فحصت الفص الخلفى والمخيخ ، والجسم الصنوبرى والغرف الأربع .. لقد فحصته كله تقريبًا عدا الفص الأمامى .

صمت الدكتور (حجازى) لحظة، ثم عاد مستطردًا :

ــ لقد أرجأت فحص الفص الأمامى ، لأنه كما تعلم من الأجزاء غير المعروف عملها بالضبط فى المخ يا (جمال) .. أو بمعنى أدق لم يتوصل العلماء إلى طبيعة عمله بعد ، فالله ــ سبحانه وتعالى ــ لم يخلق بداخلنا شيئًا عبثًا ، ولكن مراجع الطب الشرعى سجلت حالة أتغرس فيها نصل طوله عشرة سنتيمترات فى الفص الأمامى للمخ دون أن يؤدى ذلك إلى خلل فى جسم المصاب .

ابتسم (جمال) وهو يقول :

ــ لقد قرأت ذلك فى أثناء دراستى يا سيدى .. ما رأيك لو فحصنا الفص الأمامى معًا ؟

بادله الدكتور (حجازى) الابتسام ، وهو يقول :

ــ لا بأس .. دعنا نستعرض خلاياه أمام شاشة الميكروسكوب الأيونى .

وضع (جمال) اللوح الزجاجى الذى يحمل شرائح الفص الأمامى الدقيقة فى المكان المخصص لها ، ثم أشعل شاشة الميكروسكوب الأيونى ، وجلس بجوار الدكتور (حجازى) ، يتطلعان إلى الخلايا التى يقوم الشعاع الأيونى بفحصها واحدة بعد الأخرى ، فقال الدكتور (حجازى) :

ــ انظر يا (جمال) ، لا بد لك من أن تحسن التفريق بين الخلايا الرمادية والخلايا البيضاء فى المخ البشرى ، فلكل منهما وظيفة مختلفة ، وتركيب خاص .. انظر مثلا إلى ...

وفجأة بتر الدكتور (حجازى) عبارته ، وصاح :

ــ أوقف حركة الشعاع الأيونى يا (جمال) .. أسرع .

أسرع (جمال) يطيع الأمر ، ثم التفت إلى الدكتور (حجازى) ، وقال بدهشة :

ـــ ماذا حدث يا سيدى ؟

اقترب الدكتور (حجــازى) من شاشة الميكروسكوب ، وفحص الخلايا المرتسمة فوقها بعين خبيرة ، ثم قال بهدوء مشوب بالفرح :

ـــ هذا هو حل اللغز يا (جمال) .. يا له من عمل متقن بارع .. إن صاحب هذه الخدعة يمتلك عقلاً من أذكى العقول التى قابلتها فى حياتى .

حدَّق (جمال) فى الخلايا من خلال الشاشة ، ثم هز رأسه فى حيرة وهو يقول :

ـــ ما الذى تراه فى هذه الخلايا يا سيدى ؟.. إننى أراها طبيعية للغاية .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وقال دون أن يرفع بصره عن الشاشة :

ـــ هذا هو ذا فارق الخبرة والمران يا فتى .

ثم أشار إلى الشاشة ، وقال :

ـــ انظر إلى هذه المجموعة من الخلايا ، إنها تبدو طبيعية للوهلة الأولى،أو للنظرة السريعة، وبرغم ذلك فهى تختلف تمامًا عن الخلايا الحية .. لو نظرت جيدًا فستجد غلافًا رقيقًا يحيط بها مجتمعة ، وهذا يخالف ما يحدث فى الواقع ؛ لأنه من المفروض أن يكون لكل خلية غلافها الخاص ، أما أن تكون هناك مجموعة خاصة ذات غلاف واحد ، فهذا يشير فى الحال إلى أنها لا تشبه الخلايا إلا من حيث المظهر فقط .

اتسعت عينا (جمال) ، وهو يحدِّق فى الشاشة قائلا:

ـــ يا إلهى .. هذا صحيح يا سيدى .. مم تظن أنها مصنوعة إذن ؟

قال الدكتور (حجازى) بهدوء :

ـــ نوع من اللدائن الشفافة يا (جمال) .. ولو أننا استعرنا طريقة تفكير صديقنا (نور) ، لقلنا إنها قد تكون دائرة لاسلكية ذات مميزات خاصة .

ثم شرد ببصره ، وهو يتابع قائلا :

ــ دائرة لاسلكية ، قادرة على توجيه عقل الإنسان الحى .

* * *

قلت سرعة دوران عقل (نور) ، داخل الدوامة التى سقط فيها لحظة الارتطام ، وشعر بصداع خفيف يملأ رأسه ، ويطن فى أذنيه ، ثم استيقظ عقله فجأة ، وخرج من الدوامة ، وإن ظلت أفكاره مشوشة وهو عاجز عن التفكير ، وسمع صوتًا بدا فى أذنيه عميقًا ، وكأنه يأتى من هوة سحيقة ، يقول بلهجة غلبت عليها رنة السخرية :

ــ هأنتذا تعود إلى وعيك أيها الشاب .. لقد صحّت توقُّعاتى كالعادة ، فلقد كان من الواضح أنك أقواهم جسدًا وعقلاً .

استجمع (نور) إرادته كلها ليجبر عقله على الاستيقاظ ، وفتح عينيه بصعوبة ليطالعه وجه رجل رياضى القوام ، أكرت الشعر قصيره ، يرتدى منظارا

طبيًّا مستطيلاً فوق أنفه الضخم .. حليق اللحية والشارب ، مكتظ الشفتين ، له ذقن عريضة وجبهة مرتفعة .

عاد (نور) يغلق عينيه ، ويقول بصوت ضعيف :

ــ كيف حال (رمزى) و (محمود) ؟

أتاه الصوت الساخر قائلا :

ــ إذن فهاذان اسماهما .. اطمئن يا فتى ، إنهما فى خير حال ، باستثناء بعض الرضوض والكَدمات التى سيتم علاجها .

ثم صمت لحظة ، وعاد يقول :

ــ ما الذى أتى بكم إلى هذا المكان أيها الشاب ؟

بذل (نور) جهدًا خارقًا ، ليبتسم وهو يقول :

ــ كنت أهم بأن أوجه إليك هذا السؤال ؟

تمتم الرجل بنفس اللهجة الساخرة :

ــ هكذا !.. إذن فعملك يعتمد على توجيه الأسئلة .. أعتقد أنك شرطى أيها الشاب .. أليس كذلك ؟

لم يهتم (نور) بإجابة السؤال ، وإنما ركز أفكاره على عقله الذى بدأ يستعيد صفاءه ، ففتح عينيه ، ونهض من فراشه محدقًا فى الرجل الواقف أمامه ، وقال :

ــ من العجيب أنك لم توثقنى على الفراش يا دكتور .

ابتسم الرجل ، وقال :

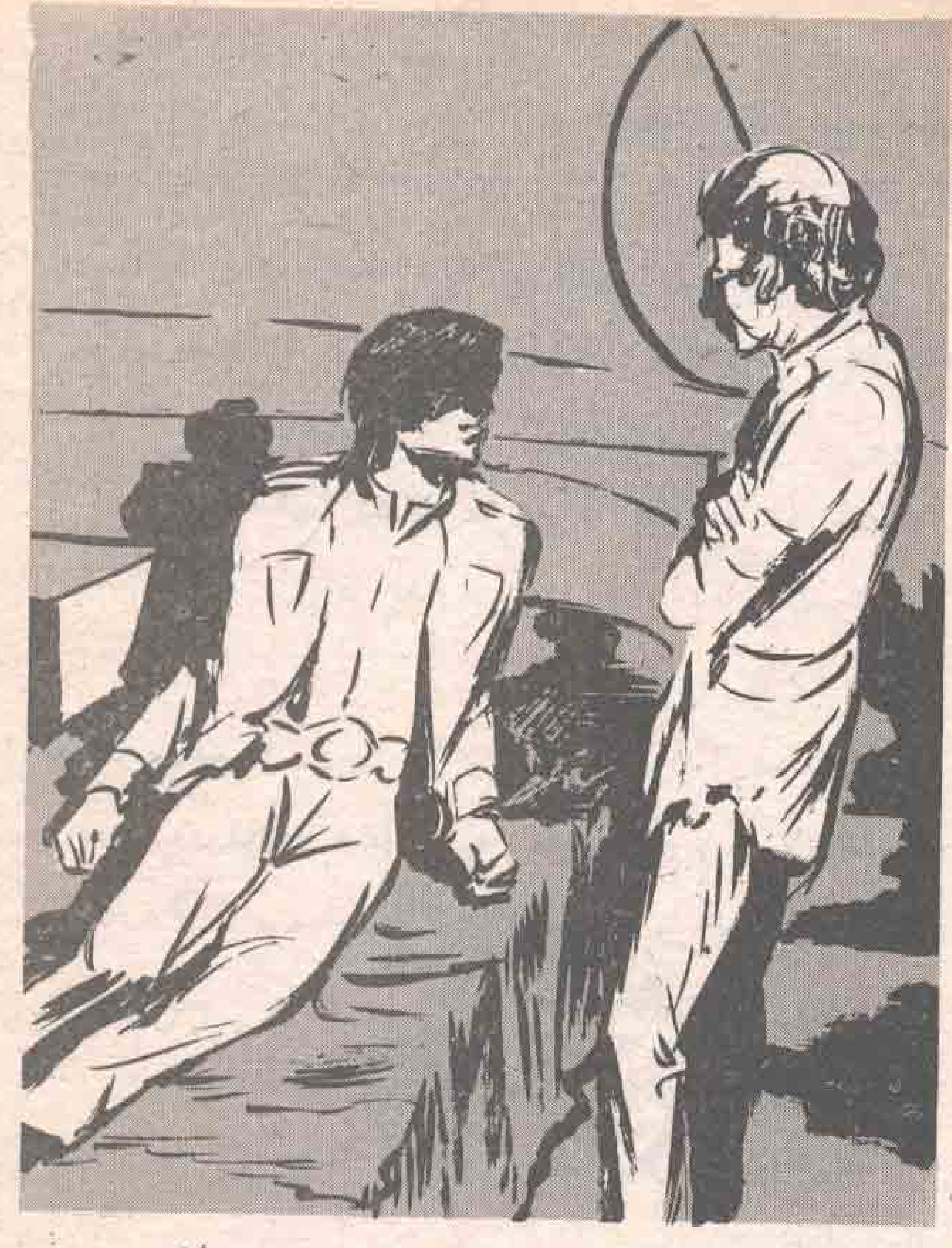
ــ لست أحتاج إلى ذلك أيها الشاب فرجالى ...

ثم صمت فجأة ، والتقى حاجباه وهو يقول :

ــ لماذا لقبتنى بلقب (دكتور) ؟

ابتسم (نور) ، وقال بهدوء وهو يمسك مؤخرة عنقه :

ــ ولِمَ لا .. ألست أقف أمام الدكتور (رءوف عامر)بشحمه ولحمه ؟



لم يهتم (نور) بإجابة السؤال ، وإنما ركز أفكاره على عقله الذى بدأ يستعيد صفاءه . ففتح عينيه ونهض من فراشه ..



٨ ــ المواجهة ..

خيّم الصمت لحظة ، على حين وقف (نور) والدكتور (رءوف) يحدّق كل منهما فى وجه الآخر بتفرس ، ثم ابتسم الأخير ، وقال بهدوء :

ــ آستنتاج هو أم معرفة سابقة أيها الفتى ؟

ابتسم (نور) بغموض ، وهو يقول :

ــ مزيج منهما يا دكتور .

وفى نفس اللحظة سمع كلاهما صوت تأوهات خافتة من (رمزى) ، وهو ينهض من فراشه بضعف واضح ، وأعقبه (محمود) الذى حاول الوقوف ، ولكنه هوى مرة أخرى جالسًا فوق الفراش ، وحدّق (رمزى) فى وجه الدكتور (رءوف) ، وقال :

ــ ياإلهى!! الدكتور (رءوف عامر)؟.. أين نحن بالضبط ؟

ابتسم الدكتور (رءوف) بغرور ، وقال :

ـ فى معملى المتواضع ، داخل جبل حقير لا يليق بعبقرى مثلك .

تطلّع (رمزى) فى ذهول إلى الأجهزة الحديثة التى تملأ المكان ، وإلى منضدة العمليات التى تتوسطه ، وقال بدهشة :

ـ وكيف أمكنك أن تنقل كل هذه التجهيزات إلى هنا؟.. هذا مستحيل .

اتسعت ابتسامة الدكتور (رءوف)،وامتلأت ملامحه بالفخر،إلا أن (نور) أسرع يسبقه فى الكلام قائلا :

ـ لا يصبح ذلك مستحيلا ، إذا ما امتلك الإنسان جيشًا من البشر ، فاقدى الإرادة يا (رمزى) .

تطلّع (رمزى) و (محمود) إلى (نور) فى دهشة ، على حين قطّب الدكتور (رءوف) حاجبيه ، وقال :

ـ من الواضح أنك تعلم الكثير أيها الشاب .

ابتسم (نور) بهدوء ، وقال :

ـ أكثر بكثير مما تتوقع يا دكتور (رءوف) .

أطرق الدكتور (رءوف) ، ومضت فترة طويلة من الصمت ، قبل أن يرفع رأسه مبتسمًا وهو يقول :

ـ حسنًا أيها الشاب .. لا فائدة من كتمان الأمر أكثر من ذلك .. سنتناول جميعًا بعض المشروبات المنعشة ، لتستعيد عقولنا صفاءها ، ثم نتحدث فى الأمر بالتفصيل .

صمت (نور) لحظة ، وبدا من ملامحه أنه قد استغرق فى تفكير عميق ، قبل أن يقول مبتسمًا :

ـ حسنًا يادكتور..سنتناول الشراب المنعش أولاً .

* * *

جلس الجميع على مقربة من منضدة العمليات الجراحية ، وبيد كل منهم كوب من الشراب .. وبدأ الدكتور (رءوف) الحوار قائلا لـ (نور) :

ـ هات ما عندك أيها الشاب .. إننى أحب أن أستمع إليك أولا .

ابتسم (نور) ، وقال وهو ينهض من مقعده ، ويسير نحو ركن مظلم :

ـ سأخبرك بكل ما توصلت إليه يا دكتور ، وأحذرك من أن ما سأقوله سيذهلك .

ابتسم الدكتور (رءوف) بسخرية ، وقال وهو يضطجع فى مقعده :

ـ دعنا نرى ذلك .

استدار (نور) سائرا بخطوات هادئة ، وهو يمسك كوبه بكلتا راحتيه ، وقال :

ـ لنبدأ منذ البداية يا دكتور (رءوف) ، منذ محاولاتك الأولى للسيطرة على العقل البشرى عن طريق التنويم المغناطيسى .. لقد واجهتك حينذاك مشكلة الإرادة البشرية التى وقفت عقبة دائمة وقوية أمام محاولاتك المستمرة ، ولهذا فلقد بدلت خطتك ، وقررت أن تبدأ بالبحث عن الطريقة المثلى والسريعة لتحطيم العقبة .. الوسيلة الشيطانية نحو الإرادة البشرية بأسرع الطرق .

صمت (نور) لحظة ليرفع الكوب نحو فمه ، فمال الدكتور (رءوف) إلى الأمام ، وقال يستحثه على مواصلة الحديث بلهفة :

ـ استمر أيها الشاب ، إننى أستمع إليك .

ابتسم (نور) وقال مستطردا :

ـ لقد أثار انتباهى منذ البداية إقدام العلماء الثلاثة على مثل هذا العمل الانتحارى دونما فائدة تذكر ، فهذا الجهاز الذى ضحوا بأرواحهم ومراكزهم من أجله ، ستعرض تصميماته على العالم أجمع قبل أقل من أسبوع واحد .. لقد كانت هذه النقطة هى أعجب ما فى الأمر .. فلو أن هذا الجهاز سر حربى خطير ، لكان لهذا الإقدام والانتحارية ما يبررهما .. أما والحال هكذا ، فليس هناك ما يبرر ذلك الفعل إلا ...

سكت (نور) وهلة ، تأمل خلالها الانفعال الواضح على وجه الدكتور (رءوف) ، ثم تابع قائلا :

ـ إلا إذا كان كل ذلك مجرد تجربة .

قال (محمود) بدهشة شديدة :

ــ تجربة ؟.. كل هذا العنف من أجل تجربة ؟

قال (نور) وهو يضع كوبه الفارغ على المنضدة :

ــ نعم يا (محمود) للأسف .. لقد كان كل ذلك مجرد تجربة ، لإثبات نجاح الطريقة الجديدة التى اخترعها الدكتور (رءوف) .. لإثبات إمكانية محو الإرادة البشرية عن طريق عملية جراحية بسيطة فى المخ ..

همَّ (رمزى) بالاعتراض ، إلا أن (نور) استطرد قائلاً :

ــ لقد كان من الواضح أن الدكتور (أشرف) واقع تحت تأثير التنويم المغناطيسى ، وأنه قد تلقى أمرًا بعدم ذكر ما حدث فى مثلث الغموض .. فما أن بدأ بشرح الأمر حتى رفض عقله الاستجابة ، وتلقى بدلاً من ذلك أمرًا بالتدمير والقتل ، ولقد أطاع الأمر برغم مخالفته لمبادئه ؛ لأن العلماء الثلاثة عند وصولهم إلى هنا تم اختطافهم كما حدث معنا ، وأجريت لهم عملية محو

الإرادة ، وأعقبها التنويم المغناطيسى .. كانت تجربة فريدة لم يتمكن الدكتور (رءوف) من مقاومة رغبته فى إجرائها .. فهى الإثبات الوحيد لنجاح اختراعه .

قاطعه (رمزى) قائلا بإصرار :

ــ ولكن هذا مستحيل أيها القائد .. لا يمكن محو الإرادة البشرية .. لا يوجد مركز للإرادة فى المخ البشرى .

أدهشهم صوت الدكتور (رءوف) ، وهو يقول بهدوء :

ــ وماذا عن الفص الأمامى يا سيد (رمزى) ؟

حدّق (رمزى) فى وجه الدكتور (رءوف) وأراد الاعتراض ، إلا أن صوته خرج على الرغم منه متخاذلاً وهو يقول :

ــ ولكن العلماء يقولون ...

قاطعه الدكتور (رءوف) بحنق ، وهو ينهض من مقعده قائلا :

ـــ أى علماء يا سيد (رمزى) ؟.. هل تقصد أولئك المتحجرين ، الذين رفضوا فكرتى ، واتهمونى بالجنون ؟

كانت عيناه تبرقان بالفعل ببريق هو الجنون بعينه ، وهو يلوح بقبضته مستطردًا :

ـــ إنهم أجهل من دابة .. لقد قضوا أجيالاً وهم يرفضون فكرة وجود مركز للإرادة ، وظنوا أن الفص الأمامى للمخ بأكمله مجرد حلية أو زينة .. يا لهم من بلهاء .. لقد كان من الواضح أن الإرادة البشرية تتركز فى أحد الأجزاء التى لم نصل إلى طبيعة عملها بعد .. فى الجسم الصنوبرى أو الفص الأمامى للمخ .

ثم ابتسم بشراسة ، وهو يتابع قائلا :

ـــ ولقد ركزت أبحاثى على الفص الأمامى .. درست عمل كل خلية فيه .. كل تجويف .. كل شعيرة دموية .. وأخيرا نجحت .

ورفع ذراعيه إلى أعلى ، وهو يقهقه ضاحكا بجنون ويصيح :

ـــ لقد توصلت إلى أعظم كشوف العصر وكل العصور .. لقد عرفت أين تكمن إرادة الإنسان .

تمتم (رمزى) بأسى :

ـــ يا إلهى !! لقد أصيب الرجل بالجنون !

أما (نور) فأشار بسبابته إلى الدكتور (رءوف) ، وصاح بغضب :

ـــ ما أحقره من كشف .. لماذا لم توجه جهودك نحو تقوية الإرادة البشرية بدلا من محوها ؟

ابتسم الدكتور(رءوف) ، وبرقت عيناه وهو يقول :

ـــ إنك تمتلك عقلية استنتاجية رائعة أيها الشاب ، ولكن ذكاءك لا يقارن بعبقرى مثلى ، فما زالت المشاعر البشرية والغرائز الدنيئة تسيطر على عقلك .

ثم رفع كفيه أمام وجهه متابعا :

ـــ لقد توصلت إلى ما حدث تقريبا ، ولكن تنقصك المعلومات العلمية الكافية .. نعم .. لقد وصل هؤلاء العلماء الثلاثة إلى هنا لفحص المنطقة ،

وأمسكت بهم بمعاونة الرجال الستة ، الذين محوت إرادتهم فى تجاربى الأولية ، وكانت فرصة لا يمكن تعويضها أو التنازل عنها .. لقد خدرتهم ومحوت إرادتهم بالوسيلة الجديدة التى توصلت إليها .. وهذه الوسيلة فى حد ذاتها أعظم كشوف القرن .

كان كفاه يتحركان بشكل مسرحى ، وهو يقول :

ـ دائرة لاسلكية صغيرة دقيقة للغاية ، يبلغ سمكها نفس سمك خلايا المخ .. بل إن لها نفس الشكل ، حتى أنه من الصعب تمييزهما تحت الميكروسكوب ، مصنوعة من اللدائن الشفافة التى لا تكشفها (أشعة رونتجن) .. هل تتصور عظمة مثل هذا الاختراع ؟.. يكفى أن تغطى بها مركز الإرادة فى الفص الأمامى ، فتعمل موجاتها على محو الإرادة البشرية تمامًا ، ويتحوّل الإنسان إلى مجرد آلة صماء ، يمكنك توجيهها كما يحلو لك .

وأشار بعصبية إلى منضدة العمليات الجراحية ، وهو يقول :

ـ إنك لا تحتاج حتى لعملية جراحية تظهر آثارها واضحة .. يكفى أن تدفع الدائرة من خلال تجويف الأنف ، باستخدام الجراحة الميكروسكوبية والكمبيوتر ، فيما يسمى بجراحات (الاستريوتاكسيك) ، التى بدأ استخدامها منذ عام ألف وتسعمائة وخمسة وثمانين .. عملية عظيمة يحسدنى عليها أكبر جراحى المخ والأعصاب .

مطّ (نور) شفتيه باحتقار ، وقال :

ـ بل يحسدك عليها أحقر اللصوص ، وأعتى السفاحين .

قهقه الدكتور (رءوف) ضاحكًا ، وضغط أسنانه وهو يقول :

ـ بعد ذلك تأتى مرحلة التنويم المغناطيسى ، التى تتم بسهولة ويسر ، ما دامت الإرادة البشرية قد تحطمت .. كانت المشكلة الوحيدة هى التجربة التى أحتاج إليها لتأكيد هذا النجاح ، ولقد أوحى لى العلماء الثلاثة بها ..

ما داموا قد حضروا إلى هنا تمهيدًا لاختبار جهاز ما ، فلِمَ لا أدفعهم لتدمير هذا الاختراع ، ومحو كل ما يتصل به .. ولقد كان .

تمتم (محمود) بتوتر :

ــ هذا إذن هو تفسير تلك المنحنيات القوية التى أصدرها عقل الدكتور (أشرف) .

قال (نور)،وهو يحدّق فى وجه الدكتور (رءوف) بحنق :

ــ نعم يا (محمود) .. فما أن بدأ الدكتور (أشرف) فى سرْد ما حدث ، حتى حثّ عقله الباطن الدائرة اللاسلكية على العمل ، فمحت إرادته ، ودفعته إلى تنفيذ الأمر الذى ألقى على مسامعه فى أثناء تنويمه مغناطيسيًّا ، ألا هو تدمير وقتل كل من يتطرق إلى هذه النقطة .

ابتسم الدكتور (رءوف) بجنون ، وقال :

ــ هذا صحيح أيها الشاب .. هل رأيت عظمة فكرتى .. تصور جيشًا من الانتحاريين ينفذ الأوامر بعد

أن نزعت منه الخوف والقلق .. إنك لا تستطيع حتى استجواب الأسرى منه .. لقد رفض هؤلاء الأغبياء فكرتى .. رفضوا أن أصنع لهم أقوى جيش فى التاريخ .

صاح (نور) بغضب :

ــ أية قوة فى جيش مسلوب الإرادة .. إنك تصنع قطعًا من الشطرنج ، لا جيشًا منظمًا .

ضرب الدكتور (رءوف) منضدة العمليات بقبضته ، وهو يصيح :

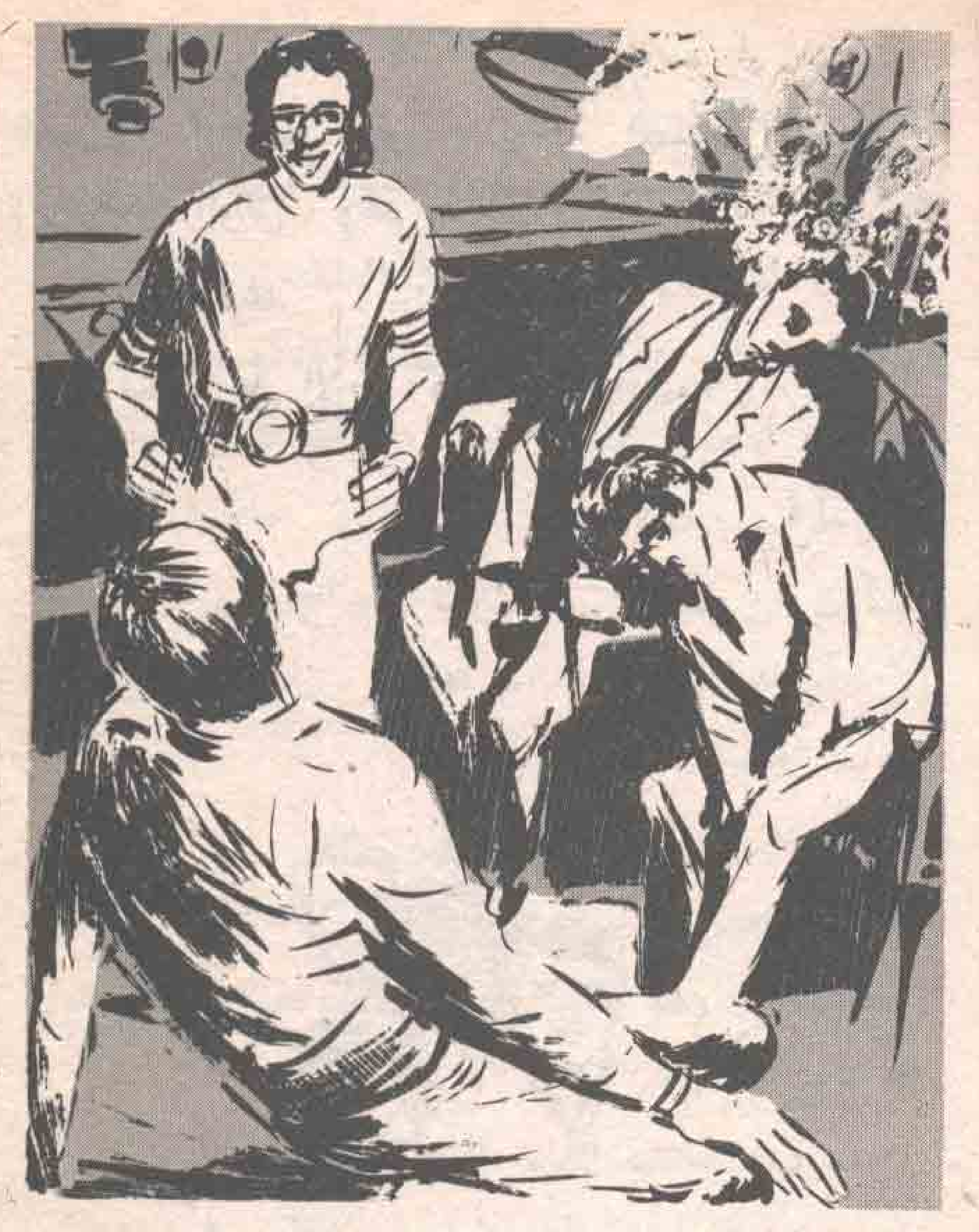
ــ صه أيها الشاب .. إنك لا تفقه شيئا .

ثم أشار إلى (نور) بسبابته،وهو يستطرد منفعلا :

ــ هل قرأت كتب التاريخ ؟.. هل رأيت كيف أثار الكاميكاز اليابانيون الارتباك والحيرة فى صفوف قوات الحلفاء ، عندما كانوا يحطمون طائراتهم بلا تردد وبانتحارية مذهلة ، فى الأهداف المراد تدميرها ؟

صاح (نور) غاضبا :

ــ لو أنك قلبت صفحة التاريخ لوجدت أن النصر



استدار (نور) نحو رفيقه بحدة ، فشاهد (ممدوح) فاقد الوعى . ورأى (رمزى) شاحبًا وهو يقـاوم النعاس .

كان فى النهاية لقوات الحلفاء برغم ذلك .

قال الدكتور (رءوف) بهدوء عجيب :

ـ لقد انتصر الحلفاء بفضل القنبلة الذرية وحدها أيها الشاب .

صاح (نور) :

ـ ومن الذى صنع هذه القنبلة الذرية ؟.. أليس العقل البشرى والإرادة البشرية ؟

ابتسم الدكتور (رءوف) ، وهو ينظر نحو (محمود) قائلا :

ـ لقد فات الوقت أيها الشاب .. لن يمكنك إيقاف عجلة التطور .

استدار (نور) نحو رفيقيه بحدة ، فشاهد (محمود) فاقد الوعى ، ورأى (رمزى) شاحبا وهو يقاوم النعاس ، وسمعه يقول بصوت واهن :

ـ يا إلهى .. المشروب !.. لقد وضع لنا المخدر فى الـ ...

لم يتم (رمزى) عبارته ، بل غاب فى سبات عميق .. فالتفت (نور) يواجه ابتسامة الدكتور (رءوف) الواثق ، وتمتم بضعف :

— أيها الوغد ..

ثم سقط على الأرض كقطعة من الحجر .

* * *



٩ — الإرادة ..

كان القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، يطالع بعض المعلومات التى تتراصّ على شاشة الكمبيوتر السرى الموضوع أمامه ، عندما أضاء مصباح صغير موضوع على طرف مكتبه .. فزوى ما بين حاجبيه ، وهو يتساءل عن سبب إضاءه ذلك المصباح الذى لا يضىء إلا فيما ندر ، وضغط زرًّا صغيرًا ، وقال :

— حسنا .. ماذا لديكم ؟

أتاه صوت أحد رجاله يقول :

— يجلس هنا رجل يدعى الدكتور (محمد حجازى) ، وهو يطلب مقابلتك شخصيًا ، لأمر يقول إنه بالغ الخطورة .

ازدادت دهشة القائد الأعلى ، وهو يقول :

— عجبا !! إنها المرة الأولى التى يطلب فيها مقابلتى

شخصيًا .. هل تم التحقق من شخصيته ؟

أجابه الرجل بالإيجاب ، فاستطرد قائلا :

ــ اسمح له بالدخول على الفور ، فلا ريب أنه يحمل أمورًا خطيرة جدا .

ما هى إلا لحظات ، حتى كان الدكتور (حجازى) يصافح القائد الأعلى ، قائلا بلهفة :

ــ معذرة يا سيدى ، فلم يكن أمامى بد من مقابلتك شخصيًّا ، ما دمت أجهل الرقم السرى للاتصال بك .

ابتسم القائد الأعلى ، وقال بصوت يشوبه القلق :

ــ أنت دائمًا على الرحب والسعة يا دكتور (حجازى) ، فنحن ندين لك بفضل حل الكثير من الألغاز التى واجهتنا ، ماذا وراءك ؟

قال الدكتور (حجازى) ، بصوت ينم عن الخوف والحيرة :

ــ الأمر خطير للغاية هذه المرة يا سيدى ، فلقد توصلت من خلال فحص الفص الأمامى لمخ المهندس

(فهمى) ، إلى حل لغز القضية التى يسعى وراءها (نور) وفريقه ، ولكننى أستطيع العثور عليهم لتنبيههم إلى الخطر الذى ينتظرهم .. لقد اختفوا تمامًا .

لم يستطع القائد الأعلى كتم انفعاله ، وهو يقول :

ــ يا إلهى !! هل توصّلت إلى حل اللغز فعلًا ؟ أخبرنى أولاً ما الخطر الذى يهدد (نور) وفريقه ؟

استند الدكتور (حجازى) براحتيه إلى سطح مكتب القائد الأعلى ، وقال :

ــ المهم الآن أن نسرع بالبحث عن (نور) وفريقه وإنقاذهم .. وإلا تحوّلوا إلى آلات بشرية .. آلات انتزعت منها الإرادة تمامًا .

* * *

تأمل الدكتور (رءوف) أجساد (نور) و (رمزى) و (محمود) ، وأومأ برأسه وهو يقول بلهجة واثقة :

ــ يا لكم من حمقى !! هل تصورتم أنكم قادرون على هزيمة عبقرى مثلى ؟

ثم نادى أحد رجاله مسلوبى الإرادة ، وأمره بحمل جسد (نور) ووضعه فوق منضدة العمليات الجراحية ، وضغط على أزرار الكمبيوتر الجراحى ، وهو يقول :

— إنك أعظم من قابلت ذكاءً أيها الشاب .. ستكون أروع إنجازاتى .. سأجعل منك نواة لجيشى الانتحارى .

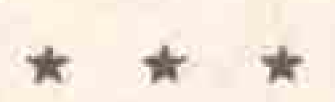
وارتدى قفازين طبيّيْن معقميْن .. ووضع فوق أنفه وفمه كمامة طبية ، وتناول أنبوبًا زجاجيًا دقيقًا ، تأمله بإعجاب وتمتم قائلا :

— لن يمضى وقت طويل حتى أصنع الآلاف .. بل الملايين من هذه الدائرة اللاسلكية الميكروسكوبية .. لن يمضى وقت طويل حتى يعترف العالم مجبرًا بعبقريتى وعظمتى .

وقهقه ضاحكًا بشكل ينم عن جنون مطبق ، ثم اقترب من جسد (نور) المسترخى فوق منضدة العمليات الجراحية ، وحرّك جهازًا متوسط الحجم فوق

رأس (نور) مباشرة ، وألصق عينيه بعدستين انطبقتا على تجويفهما تمامًا ، وأمسك جهازًا دقيقًا يشبه إبرة طبيّة ، قرّبه من فتحة أنف الجسد المسترخى أمامه وهو يقول :

— وداعًا لإرادتك أيها الشاب ، ومرحبًا بك على رأس جيشى العظيم .





١٠ ـ الجنون الأخير ..

قبل أن يمس طرف الجهاز الشبيه بالإبرة أنف الرائد (نور) ، أمسكت يد قوية بمعصم الدكتور (رءوف) الذى جحظت عيناه ذعرًا دهشة وذعرًا،وهو يحدق فى المشهد الوحيد الذى لم يتوقعه مطلقا .. فلقد دب النشاط فجأة فى جسد (نور) المسترخى ، وفتح عينيه ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، أثارت الرجفة فى جسد الدكتور (رءوف) ..

قفز (نور) من فوق منضدة العمليات الجراحية ، بنشاط لا يتناسب مع شخص تناول مادة مخدرة ، وزاد من ضغط قبضته القوية على معصم الدكتور (رءوف) الذى ألجمته المفاجأة ، وتأوه بألم والجهاز الدقيق يفلت من يده ، ويصيح بذهول :

ـ مستحيل .. لا يمكنك أن تستيقظ قبل ساعة على الأقل .



ضحك (نور) وهو يقول :

ـــ هل تصورت أن خدعة المادة المخدرة ستنطلى علىّ أيها الوغد ؟.. لقد توقعت ذلك منذ سمعت اقتراحك بأن نتناول مشروبًا منعشًا .

تقهقر الدكتور (رءوف) ، وهو يحاول تخليص معصمه من قبضة (نور) قائلاً :

ـــ ولكنك تناولت المشروب !!.. لقد شاهدتك بعينى .

ابتسم (نور) وقال :

ـــ لا تصدق كل ما تراه عينك يا دكتور .. لقد شاهدتنى أرفع الكوب إلى فمى ، ولكنك لم تشاهدنى أشرب ، لأننى كنت أحيط الكوب بكلتا راحتى ، مما يمنعك من رؤية المشروب بداخله .. لقد كان الكوب خاليا يا دكتور .

قال الدكتور (رءوف) بذهول :

ـــ أين ذهب المشروب إذن ؟

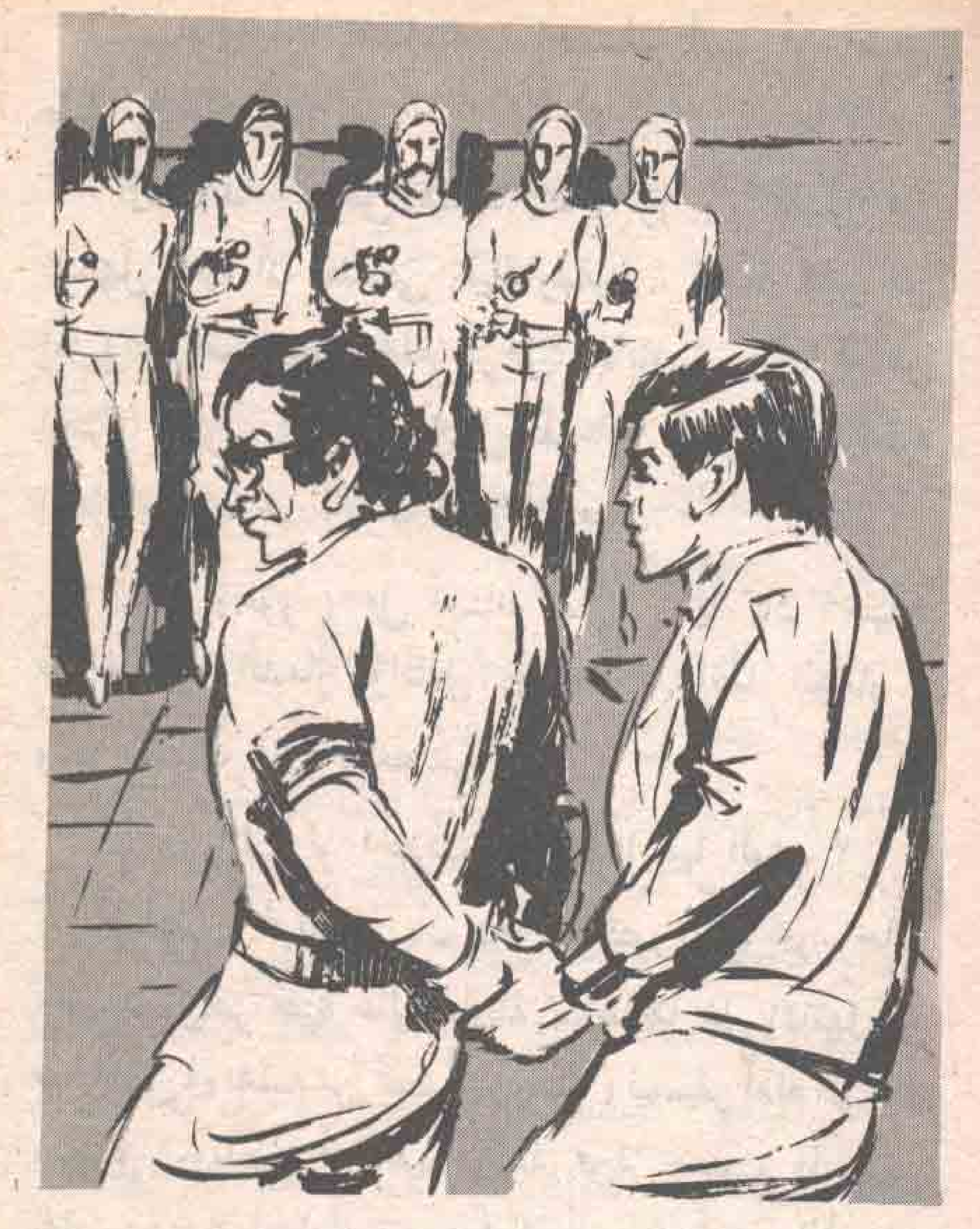
أشار (نور) بيده الأخرى نحو الركن المظلم ، وقال :

ـــ لقد سكبته هناك .. لقد سكبته بهدوء ، مستغلا حالة الانفعال التى كنت عليها .. لقد هزمك العقل البشرى ، وهزمتك الإرادة البشرية يا دكتور .

صرخ الدكتور (رءوف) بجنون :

ـــ اصمت أيها الشاب .. اصمت .. لن يهزمنى أحمق مثلك قط .. سيمزقك رجالى إربا .. الدفاع يا رجال .. الدفاع .

فوجئ (نور) برجال الدكتور (رءوف) يقتحمون الغرفة .. كانوا خمسة رجال ، يحمل كل منهم مسدسًا ليزريًا ، وحدس (نور) أن سادسهم قد لقى مصرعه فى حادث تصادم السيارتين الصاروخيتين ، وشعر بخطورة الموقف ،فهو يعلم أن هؤلاء الرجال لن يترددوا لحظة فى إطلاق أشعتهم نحوه ، دفاعًا عن الرجل الذى سلبهم إرادتهم ، وحوّلهم إلى آلات بشرية .. لم يكن هناك أمل فى الإفلات منهم ..



جاهد الدكتور (رءوف) بيأس ، محاولاً التخلص من ذراعى (نور) ، ولكن هذا الأخير أحكم قبضته ..

وفجأة برقت ومضة قوية فى عقل (نور) ، والتمعت عيناه وهو يتمتم قائلاً :

ــ نعم .. إنه الأمل الوحيد .

* * *

جذب (نور) الدكتور (رءوف) بقوة ، وأمسك به أمامه .. صنع منه درعا يحول بينه وبين الرجال الخمسة .. فصاح الدكتور بغضب :

ــ ماذا تفعل أيها الأحمق ؟

قال (نور) بصوت قوى :

ــ أنت تعلم مثلى أنها الوسيلة الوحيدة يا دكتور ، فهؤلاء الرجال مبرمجين للدفاع عنك فقط ، لا لقتلك ، ولن يطلق أحدهم أشعته ما دمت تحول بينى وبينهم .

جاهد الدكتور (رءوف) بيأس، محاولا التخلص من ذراعى (نور)، ولكن هذا الأخير أحكم قبضته وهو يقول :

ــ مرهم بإلقاء أسلحتهم يا دكتور ، وإلا حطمت عنقك .

ابتسم الدكتور (رءوف) بشراسة ، وقال :

— محال أيها الشاب .. استسلم أنت أو آمرهم بقتل رفيقيك .

كان هذا العرض مفاجئا لـ (نور) ، فليس من السهل عليه أن يضحى بحياة رفيقيه ، كما أنه ليس من المفروض أن يسمح لهذا الرجل بالانتصار .. يا له من اختيار مرير ، لشخص يحمل طبيعة (نور) التى تكره القتل والدمار .. أمران أحلاهما مر .

ضغط (نور) على أسنانه بحنق .. أيًّا كان اختياره فلابد من الدمار والقتل.. والدمار.. دائمًا الدمار..
وتمتم بصوت مملوء بالغضب :

— ما رأيك لو اخترت حلا ثالثا أيها الوغد ؟

ثم أعقب عبارته ، بأن دفع الدكتور بقوة نحو رجاله الخمسة، وقفز قفزة عالية طويلة، ساعدها على أدائها كل ما يعتمل فى نفسه من غضب وحنق ، ليستقر أمام الرجال مباشرة ، ويلكم أحدهم لكمة قوية جعلت المسدس يفلت من يده ، ليتناوله (نور) قبل أن يسقط على الأرض،

ويستدير ليواجه الرجال الأربعة الآخرين ومسدساتهم مشهرة نحوه ، على استعداد للانطلاق فى الحال .

* * *

لم يكن (نور) قد واجه فى حياته أربعة رجال مسلحين فى آن واحد ، ولم يكن يمتلك الخبرة الكافية لمواجهة هذا الأمر ، ولكنه كان يمتلك ما يفتقده هؤلاء الرجال .. الإرادة البشرية .

قفز (نور) إلى اليسار ، وأطلق أشعة مسدسه ليصيب أحد الرجال فى مقتل ، وشعر بألم شديد فى ذراعه اليسرى ، عندما اخترقتها دفقة من أشعة الليزر ، ولكنه أصاب الرجل الثانى بطلقة محكمة ، واستدار يطلق أشعته على الرجل الثالث ، فى نفس اللحظة التى تخاذلت فيها ساقه اليمنى من أثر دفقة صائبة أطلقها الرجل الرابع ، فسقط على الأرض ، وحرك يده بسرعة دفعته إليها غريزة الدفاع عن النفس ، لتصيب دفقة من أشعة مسدسه رأس الرجل الرابع والأخير ، وتلقى به جثة هامدة .

حدّق الدكتور (رءوف) فى رجاله الصرعى بذهول ، ثم صاح بجنون مطبق :

— لن أقبل الهزيمة أيها الشاب .. سأنسف الجبل بأكمله .. سأقضى على الجميع .. سأقضى عليك وعلى رفاقك .

أسرع الدكتور (رءوف) نحو جهاز معلق على حائط الغرفة ، فصاح به (نور) وهو يصوب مسدسه نحوه :

— توقف ، وإلا أطلقت أشعتى نحوك .

قهقه الدكتور (رءوف) بجنون ، وهو يواصل تقدمه صائحا :

— لن توقفنى أيها الشاب .. لن يوقفنى شىء على الإطلاق .

لم يكن هناك من مفر ، وأطلق (نور) أشعته على ساق الدكتور (رءوف) ، فتهاوى هذا الأخير ، وسقط على وجهه ، ولكنه نهض وأخذ يجر ساقه المصابة بإصرار

وعناد شديدين ، وهو يتقدم نحو جهاز التفجير ..

ضغط (نور) على أسنانه ، وقال :

— يا له من عالم !! التدمير هو دائمًا أسرع ما يتوارد إلى خاطرهم .

وصوب مسدسه نحو جهاز التفجير ، إلا أنه عاد وتردد ، فلم يكن يدرى ما يمكن أن يسفر عنه ذلك .. ربما انفجار يودى بحياة رفيقيه ، وكانت يد الدكتور (رءوف) قد أصبحت على بعد عدة سنتيمترات من الجهاز ، فتمتم (نور) بيأس :

— إنك لم تترك لى الخيار يا دكتور .. للأسف .

وأطلق دفقة من أشعة مسدسه ، اخترقت رأس الدكتور (رءوف) ، ولطخت الحائط المواجه له بالدماء .

* * *



وأطلق دفعة من أشعة مسدسه ، احرقت رأس
الدكتور (رءوف) ، ولطخت الحائط المواجه له بالدماء ..

١١ ـ الختام ..

انجابت غشاوة المخدر عن عقل (رمزى) ، وأفاق ليشعر بصداع شديد فى رأسه ، وظلت عيناه مغمضتين وهو يتمتم بصوت خافت :

ـ يا إلهى !! ماذا حدث ؟.. ماذا أصابنا جميعًا ؟

وما أن فتح عينيه حتى اتسعت حدقتاه دهشة ، فقد طالعه (نور) جالسا على المقعد المواجه له ورأسه مطرق نحو الأرض ، على حين كانت ذراعه اليسرى وساقه اليمنى تنزفان بغزارة ، واستند ساعده الأيمن إلى ساقه المصابة ، وتدلّى فى قبضته مسدس أشعة يقبض على مقبضه بضعف ، وارتسم خط من الدم ما بين المقعد وركن الحجرة .

قفز (رمزى) نحو (نور) ، وأمسك بكتفيه يسأله بجزع :

— ماذا حدث يا (نور) ؟.. يا إلهى إنك تحتاج إلى إسعاف سريع ، فأنت تنزف بغزارة .. ماذا حدث ؟

رفع (نور) رأسه ببطء مواجها (رمزى) .. كانت عيناه مغرورقتين بالدموع ، ووجهه شاحبا خلت منه الدماء ، وخرج صوته ضعيفا حزينا تملؤه رنة الأسى ، وهو يقول :

— لقد نجوتما يا (رمزى) .. لقد نجونا جميعا .. هل يكفيك هذا ؟

تطلّع (رمزى) بذهول إلى جثة الدكتور (رءوف) برأسه المحطم ، وجثث الرجال الخمسة ، وإلى آلات المعمل الجهنمى التى تحطمت عن آخرها ، ثم عاد يوجه اهتمامه إلى (نور) ، وسأله بانفعال شديد :

— يا إلهى .. هل فعلت كل ذلك ؟.. هل فعلت كل ذلك وحدك يا (نور) ؟

أطرق (نور) برأسه أرضا ، وقال بصوت حزين اختلطت نبراته بدموعه :

— صدقنى يا (رمزى) .. إننى لا أشعر بالفخر .. حتى أننى أخشى أن يأتى وقت تعلم فيه ابنتى بما فعلته .. إنه أمر رهيب يا (رمزى) !! رهيب !

كان الأمر مذهلاً ، حتى بالنسبة لطبيب نفسى مثل (رمزى) .. ومذهلاً له بالذات ، فهو أكثر من يعلم عن كراهية (نور) المرضية للقتل والتدمير .. لم يكن يتصور أنه يأتى يوم يكون فيه (نور) نفسه وسيلة من وسائل القتل والتدمير .

انحنى (رمزى) يفحص إصابات (نور) ، وهو يتمتم قائلا :

— لقد أنقذتنا يا صديقى .. ومن يدرى ؟.. ربما أنقذت كوكب الأرض بأكمله ، من مجنون يعلم الله ما الذى كان يمكن أن يفعله .

* * *

مضى أسبوع كامل على تلك الأحداث ، عندما جلس (رمزى) و(محمود) فى طرف حديقة منزل (نور)

يتطلعون إليه وإلى (سلوى) ، التى تعدل من وضع
وسادة إسفنجية خلف ظهره ، وهز (محمود) رأسه
بأسى وقال :

ــ لو أن شخصا أخبرنى أن الرائد (نور) يمكن أن
يتعرض لانهيار عصبى منذ أسبوع واحد ، لاستلقيت
على ظهرى من شدة الضحك .

قال (رمزى) :

ــ لقد تعرض (نور) لضغوط نفسية شديدة للغاية
يا (محمود) .. فبرغم طبيعة عمله التى تتوقع العنف فى
أية لحظة ، إلا أنه إنسان حساس للغاية ، كان يصلح
لأن يكون فنانا أو شاعرا ، وعقله لا يحتمل العنف
والتدمير .

حرّك (محمود) رأسه فى حيرة ، وقال :

ــ ولكن .. لم تكن هناك وسيلة أخرى
يا (رمزى) .. ثم إنه أنقذ الجميع مما كان يحتمل
أن يفعله هذا العالم المجنون .

مطّ (رمزى) شفتيه ، وهو يقول :

ــ إن أسئلتك هذه تزيد من اقتناعى بأن الطب
النفسى علم معقد للغاية يا (محمود) .. ليس مصرع
الدكتور (رءوف) هو ما أصاب (نور) بذلك
الانهيار العصبى ، وإنما هو اضطراره لقتل خمسة رجال ،
يعلم جيدًا أنهم مسيرون لا مخيرون ، وأنهم إنما يطيعون
أوامر الرجل الذى سلبهم إرادتهم .

رفع (محمود) حاجبيه ، وقال :

ــ ولكنه يعلم أنه لم يكن أمامه حل بديل .

قال (رمزى) :

ــ هذا هو السلاح الوحيد الذى يحارب به عقله
ذلك الانهيار يا (محمود) .

زوى (محمود) ما بين حاجبيه ، وقال :

ــ ولكن لماذا دمر آلات المعمل بأكملها ؟

هزّ (رمزى) رأسه ، وقال :

ــ من الممكن أن يكون قد فعل ذلك فى ثورة
غضب عما ارتكبه ، أو أنه ــ وهذا هو الاعتقاد

الأرجح ـ قد حاول محو كل ما يتصل بتجربة الدكتور (رءوف) ، خشية أن يحاول غيره تكرارها .

وفى هذه اللحظة سمع كلاهما صوت الدكتور (محمد حجازى) يأتى من خلفهما قائلا :

ـ إننى أتفق مع هذا الرأى الأخير يا (رمزى) .

وقبل أن ينهض (رمزى) لتحيته ، جلس هو على مقعد مقابل ، وقال :

ـ هل تعلمون أن وجود هذه الدائرة اللاسلكية الميكروسكوبية فى مخ العلماء الثلاثة ، هو سبب ذلك الصراع الذى كان ينتابهم .. لقد شفوا تماما بمجرد انتزاع الدوائر من رءوسهم .

تبادل (رمزى) و (محمود) النظرات ، ثم قال الأول :

ـ إن حصولكم على الدوائر اللاسلكية ، يعنى أن محاولة (نور) محو هذا الاختراع قد فشلت .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وقال :

ـ هناك وجهان للعلم دائما يا (رمزى) ، وهناك

الكثيرون ممن يحتاجون إلى مثل هذه الدوائر .. من الناحية السليمة بالفعل .. فهناك المعوقون وكبار السن وغيرهم .

قال (محمود) ، مديرًا دفة الحديث :

ـ إن كل ما يعنينى فى هذه اللحظة ، هو شفاء (نور) يا سيدى .

تطلع الدكتور (حجازى) نحو (نور) و (سلوى) ، وابتسم وهو يشاهد (سلوى) ، التى ابتسمت وارتفع طرفا حاجبيها بحنان ، وهى تتحدث إلى زوجها وتربّت على وجهه بحبّ ، ثم عاد يلتفت إلى (رمزى) و (محمود) ، وابتسم وهو يشير إلى (نور) وزوجته بإبهامه من خلف ظهره ، قائلا بصوت يحمل أسمى معانى التفاؤل والأمل :

ـ سيعافى سريعًا أيها الشابان .. سيعافى ؛ لأنه قوى .. ولأنها بجواره .

* * *

(تمت بحمد الله)